وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحيى فارس - المدية
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية
دائرة اللغة العربية وآدابها

الموضوع :

الخصائص الأدبية والفنية للقصيدة الأندلسية لابن زيدون أنموذجاً

مذكرة لنيل شهادة الليسانس آداب

إعداد الطالبات :
- تاج فضـــيلة
- مجاجي سـهام
- حمودي فاطمة

تحت إشراف الأستاذ :
- ناجي شنوف

السنة الجامعية :1430 – 1431
2009 - 2010

الشكر و التقدير

نحمد الله تعالى الذي كل صعب بمعونته هين وكل ضائع بتوفيقه وهدايته متحقق.

نحمد الله سبحانه على النعمة الغراء فهو للحمد أهل.

نشكر الله جل وعلا

على ما يسر لنا من هذا العمل المتواضع

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة ومعاملته الصادقة الجادة أستاذنا المشرف" شنوف ناجي"

كما نتقدم بأسمى معاني الشكر وأنبل عبارات التقدير إلى من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

إلى كل أساتذة جامعة الدكتور يحي فارس والساهرين على إنجازها ونتمنى لها الارتقاء والتألق.

فضيلة – سهام - فاطمة

إهداء

إلى الغالية أمي، أغلى علي من روحي، إليك يا من علمتني بصمتك الأبجدية.

إليك والدي الحنون ومن المحبة والخير والعطاء.

يا من زرعت فيا بذور الطاعة والاحترام الحياء.

إليكما والديا، قدوتي ومثلي الأعلى في الحياة،

كنتما الفانوس الذي أنار دربي وصوب فكري

إلى شموع الدار وسندي إخوتي و أخواتي محمد بشرى، ياسر.

إلى زوجي بلقاسم بخوش.

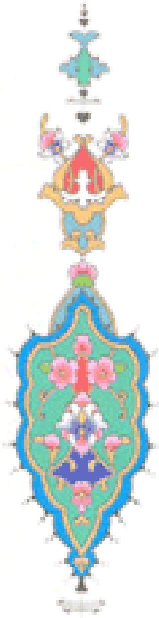
إلى رفيقات الدرب: خيرة، أميرة، وشهيرة فضيلة .

إلى من شاركتني في إنجاز هذا العمل فضيلة وفاطمة

إلى كل من علمني حرفا في حياتي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

سهام





إهداء

إلى من غمرتني بعطفها وحنانها ...إلى أول أسم نطق به لساني ...

إلى من كانت لي عونا في كل مكان وزمان

أمي...أدام الله صحتها ... وأطال في عمرها.

إلى من حملت اسمه وكان لي الفخر في ذلك ... إلى رمز الحنان والتضحية...

إلى أبي العزيز... أطال الله في عمره.

إلى من هم سندي في الحياة، إخوتي وأخواتي فتيحة، حمزة،مراد، بختة، كمال، حورية

وإلى عماتي وخالاتي وأزواجهن وأولادهن أخص بالذكر فتحي، أميرة، حكيمة، صبرينة.

إلى جدي وجدتي أتمنى لهما طوال العمر والصحة.

إلى كل من حمل صفة الوفاء والصداقة : نادية، سهام، رفيقة، كريمة، مريم، حسيبة، نوال.

إلى زملائي الذين كانوا عونا لي : محمد حمودة، جيلالي، رضا

إلى من لهم الفضل الكبير في إمداد يد العون والمساعدة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

فضيلة



إهداء

إلى من أمدني بالحنان والمحبة والوفاء

أمي الغالية .

وإلى والدي الحنون والدي علمني الاحترام الطاعة.

وإلى إخوتي وأخواتي.

إلى كل صديقاتي سمية، حميدة خديجة، فاطيمة.

إلى كل من ساعدوني في إنجاز هذا العمل المتواضع.

فاطمة



مقدمة

مقدمة :

لقد دام الوجود العربي في بلاد الأندلس ثمانية قرون، عرفت خلالها تطورا كبيرا في شتى المجالات الأدبية، والفلسفية والعلمية، ويعتبر الأدب صورة حية لذلك الازدهار، فقد كان لنا في الأندلس شعراء وأدباء، ونحويون ملئوا رحابها سحرا، وسكبوا في مسامع الزمن أغاريد الحب، وأناشيد الحياة، وقد اخترنا في بحثنا هذا جانبا أدبيا هاما هو "الشعر"، وما يمتاز به من القصيدة الأندلسية من خصائص أدبية وفنية.

فما هي هذه الخصائص والمميزات؟

إن اهتمامنا بهذا الموضوع يعود خلفيته إلى إحياء تراثنا القديم، الذي خلفه آباؤنا وأجدادنا، وقد ضاع منه الكثير بسبب الإهمال، وإعطاء الأولوية لما هو أجنبي...

ولعل نقص الدراسات حول هذا الموضوع كان دافعا رئيسيا لاختيارنا له.

وإن موضوعنا هذا يهدف إلى سد جزء من ثغرة كبير تعاني منها المكتبات الجامعية، وهو نقص الدراسات في الأدب الأندلسي.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهجين : الوصفي، والتعليمي، لأننا قمنا باستنتاج خصائص القصيدة الأدبية والفنية، عن طريق تحليل بعض النماذج الشعرية.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى ثلاثة فصول :

ففي الفصل الأول تكلمنا عن الشعر الأندلسي وما طرأ عليه من تجديد، متطرقين في المبحث الأول لنشأته، وانتقانا بعد ذلك من خلال المبحث الثاني إلى الفنون المستحدثة فيه من زجل وموشح.

وهذا الفصل هو فصل تمهيدي قبل أن نطرق الفصل الثاني الذي تضمن صلب دراستنا ولبها أي خصائص القصيدة الأندلسية الأدبية والفنية.

متناولين في المبحث الأول المميزات الأدبية، كالأفكار والأغراض...، أما المميزات الفنية فقد أدرجناها في المبحث الثاني.

لننهي دراستنا هذه بفصل ثالث تطبيقي، كان فيه ابن زيدون، وقصيدته "أضحى التنائي" أنموذجا للدراسة، متطرقين في المبحث الأول إلى تعريف الشاعر، وفي الثاني الخصائص الأدبية ، والفنية في المبحث الثالث لقصيدة "أضحى التنائي" من خلال التحليل.

وقد تلقينا خلال دراستنا هذه مشكلا رئيسيا، وهو نقص المراجع.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذ المشرف على توجيهاته البناءة في خدمة هذا البحث إلى غاية إنجازه، راجين من الله أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتنا، وأن نكون قد وفقنا فيما قصدنا وأدينا خدمة فيما بذلنا، فإن أصبنا فذلك غاية ما نتمناه، وإن أخطأنا فحسبنا أننا خلصنا النية، وبذلنا أقصى جهدنا، والله من وراء القصد في الهداية وعليه التوفيق.

الفصل الأول
الشعر في الأندلس

المبحث الأول : نشأته

المبحث الثاني : فنونه المستحدثة

المطلب الأول : الموشحات

المطلب الثاني : الزجل

المطلب الثالث : العلاقة بين الموشح والزجل

كان الشعر في الأندلس الأكثر ذيوعا من أي جنس أدبي آخر، لأنه كان يمثل أهم مظاهر الحياة العقلية العربية في الأندلس وأحلامهم.

المبحث الأول : نشأته

حظي الشعر عند الأندلس بمكانة عظيمة، وكان للشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، وهو أمر لم يكن مختلفا كثيرا عما كان للشعراء عند العرب.

ظهر الشعر الأندلسي في ظروف مختلفة عن مثيله في الشرق، ظروف تتصل بطبيعة الأندلس، وتنوعها، ومواطن جمالها، وأخرى متصلة بالتكوين الثقافي للسكان، فلأول مرة يلتقي الجنس العربي مع أجناس لاتينية، وقوطية، وبربرية ويهودية على أرض واحدة، وتتعايش تحت سمائها الأديان السماوية الثلاثة : الإسلام واليهودية، والمسيحية، فيسمع صوت الآذان إلى جانب رنين أجراس الكنائس والبيع، واللغة العربية إلى جانب الأمازيغية، الإسبانية، والكتلانية، فنشأ من التعايش بين هذه الأديان والأجناس، والثقافات واللغات جو خاص، وحضارة فذة.

إن السماحة التي ظللت المجتمع الأندلسي، وبعده عن التعصب المقيت، لعب دورا كبيرا في خلق التعايش، والتجانس بين سكان الأندلس، كان أثره واضحا على الشعر الأندلسي.

لم يكن ظهور الشعر الأندلسي المعبر عن البيئة نتيجة عمل فرد واحد، إنما هو عبارة عن ملامح نجدها لدى شعراء كثيرين على نحو متفاوت فيما بينهم، وتزايد مع الأيام وضوحا إلى أن أصبح الشعر الأندلسي مميز الخصائص والسمات.

الشيء الذي يدفعنا للقول بأن اكتمال الشخصية الشعرية الأندلسية لم يؤد إلى إثبات الوجدان الأندلسي المستقل فحسب، بل ساهم بشكل كبير في ظهور إبداع أندلسي أصيل شهدته الأندلس، متمثل في الموشحات والزجل، باعتبارهما فنين غير مسبوقين، كانا من ثمار التميز الأندلسي.

المبحث الثاني : فنونه المستحدثة

المطلب الأول : الموشحات

الموشح فن شعري مستحدث، يختلف عن ضروب الشعر الغنائي العربي في أمور عدة، وذلك بالتزامه بقواعد معينة في التقفية، وبخروجه غالبا على الأعاريض الخليلية، وباستعماله اللغة الدارجة أو العجمية في خرجته، ثم باتصاله القوي بالغناء.

ومن اللافت للنظر أن المصادر التي تناولت تاريخ الأدب العربي لم تقد تعريفا شاملا للموشحات، واكتفت بالإشارة إليها إشارة عابرة، بل حتى أن البعض تحاشى الإشارة إليها.

وقد اختلف الدارسون والمستشرقون حول نشأة الموشح، فردها بعضهم إلى أصول عربية مشرقية، والآخر إلى تأثيرات أجنبية فرنسية، إسبانية أو تسبيحات يهودية، فالموشح فن تفرد به عرب الأندلس، وامتازوا به على عرب المشرق، وتوسعوا في فنونه، وأكثر من أنواعه، يقول ابن خلدون في مقدمته : "وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح" .

أما عن سبب التسمية، فالراجح أن هذا الفن سمي بالموشح لما فيه من ترصيع وتزيين، وتناظر وصنعة، فكأنهم شبهوه بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ والجوهر.

" وهي ألوان جديدة من الشعر تخرج بأوزان وقوافيها على أساليب العرب المعروفة في النظم، وهكذا حلقت العبقرية للشاعرة في أجواء السمحة، وطلعت على الناس بأدب موشح حطم كثيرا من القيود في الشعر"[1]

ولا ننفي أن الموشح أحيانا اعتمد على بعض الأوزان الشعرية القديمة، كما أنه بدل فيها ونوع في تفاعيلها.[2]

وأول من ابتدع الموشح هو " محمد بن محمود القبري"، نسبة إلى بلدة "قبرة"، ويأتي اسم "أحمد بن عبد ربه" صاحب "العقد الفريد"، في مقدمة مؤسسي هذا الفن، بينما هناك من يرى أن المؤسس الفعلي لفن الموشحات هو أبو بكر عبادة بن السماء (ت422هـ).

1. جميل سلطان، **كتاب الشعر**، منشورات المكتبة العباسية دون طبعة، 1979، ص112.
2. مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي**، موضوعاته وفنونه، دار العلم بين طبعة04، 1979، ص149.

لقد اتخذ الموشح من حيث بغاؤه شكلا مقننا، بحيث أصبح كل موشح يشمل على أجزاء بعينها، في نطاق مسميات أصطلح المشتغلون بفن التوشيح عليها وهي :

1. المطلع أو المذهب 2. الدور 3. السمط
4. القفل 5. البيت 6. الغصن
7. الخرجة

لكي نفهم الأجزاء جيدا، نأخذ موشح ابن زهر "أيها الساقي"[1]

ونشير إلى أجزائه المذكورة سابقا :

أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت في غرته

وبشرب الراح من راحته

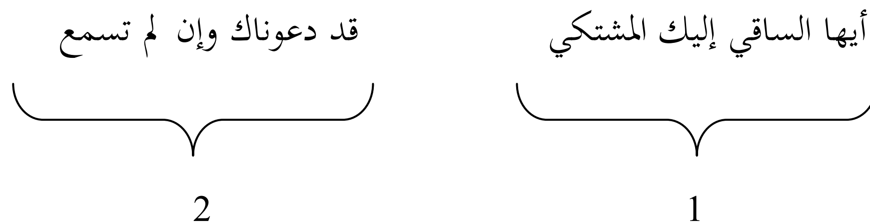
كلما استيقظ من سكوته

جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربع في أربع

1

. **المطلع أو المذهب** :

كلاهما اصطلاح يطلق عليه الموشح التام ويتكون عادة من شطرين أو غصنين، كما هو الحال في المثال :



وقد تألف من ثلاثة أجزاء أو أربعة، حتى يصل إلى اثني عشر جزءا.

[1]. أنطوان محسن القوال، **الموشحات الأندلسية**، دار الكتاب العربي، ط03، بيروت 2003، ص10.

2. الدور :

هو مجموعة الأبيات التي تلي المطلع، أو التي يسهل بها الموشح إذا كان أقرعا، أي دون مطلع، ويتكون من مجموعة من الأجزاء لا تقل عن ثلاثة، كما هو الحال في الموشح المثال :

ونديم همت في غرته

وبشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

وقد يتكون من أكثر من ثلاثة، شرط أن يتكرر بالعدد نفسه في بقية الموشح، وأن تكون من وزن المطلع، لكن بقافية مختلفة.

3. السمط :

هو كل شطر من أشطر الدور، قد يكون مفردا، كالشطر في مثالنا السابق : "ونديم همت في غرته" ،أو مركبا من جزئين أو ثلاثة أو أربعة، مثلا : قول ابن بقي[1]:

دن بالهوى شرعا ما عشت يا صاح

ومثال المركب من ثلاثة أجزاء، قول ابن زهر[2]

هل تستعاد أيامنا بالخليع وليالينا

ومثال المركب من أربعة أجزاء، قول ابن القزاز[3] :

يأبى ظبي حمى يكنفه أسد غيل

4. القفل :

[1] . أنطوان محسن القوال، المرجع نفسه، ص10.
[2] . أنطوان محسن القوال، المرجع نفسه، ص10.
[3] . أنطوان محسن القوال، المرجع نفسه، ص11.

هو ما يلي الدور مباشرة، وهو شبيه بالمطلع، وزنا وقافية، وتركيبا، ويتمثل في الموشح المثال في :

جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعا في أربع

5. البيت :

يتألف من الدور والقفل.

6. الغصن :

هو كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة وتتساوى الأغصان في الموشح عددا وتركيبا وقافية.

7. الخرجة :

هي القفل الأخير في الموشح، وتكون إما معربة، وإما عامية أو أعجمية الألفاظ، أما المعربة فمثالها قول ابن بقي[1] :

تجاوز الحدا	قلبي إشتياقا
وكلف المهدا	من لو أطاقا
قلت وقد مدا	ليلي رواقا
ليلي طويل ولا معين	يا قلب بعض الناس أما تلين

وفي المدح قول ابن اللبانة في بني عباد[1]:

[1] . أنطوان محسن القوال، المرجع نفسه، ص11.

لك الفضل وإنك من آله

رأى الكل بكم خيل آماله

فما يخلو من ينشد في حاله

بني عباد بكم نحف في أعياد وفي أعراس لا عد سمو للناس

والعامية، فيمثلها قول الأعمى التطبلي[2] :

ألقاك عن عفو فلا أناجيكا إلا اشتياق

والله ما أدري قد التوى فيكا أمري وضاق

أشدو ما عذري ألا أقاضيكا إلى العناق

يا رب ما اصبرني نرى حبيب قلبي ونعشقو

والخرجة الأعجمية : قول ابن عبادة شاعر المدية[3]

موسيدي ابراهيم

يانو من دلج

فنت ميب

ذي تحت

أن نن شنف كوش

ارم تب

غرمي أوب

لعرت

ترجمته :

---

[1] . إحسان عباس، **تاريخ الأندلسي**، المكتبة الأندلسية، دار الثقافة بيروت لبنان، ص238-239

[2] . إحسان عباس، المرجع نفسه، ص239.

[3] . إحسان عباس، المرجع نفسه ص239.

يا سيدي ابراهيم

يا إسما حلوا

تعالى إلي – الليلة – وإلا

أن كنت لا ترغب – أجيء أنا إليك

أه – اخبرني أين –أجدك.

و« الشكل الآتي يوضح شكل تركيب الموشح » :

المطلع : غصن غصن

البيت { الدور { سمط / سمط / سمط ؛ القفل : غصن }

غصن

أغراض الموشح[1] :

في البداية، ألصقت موضوعات الموشحات بالثالوث التالي :

الغزل، الخمرة، والطبيعة، وهي الموضوعات التي تدع المشاعر تنطلق على سجيتها دون تكلف أو تصنع.

قال الدكتور جودت الركابي :« ويظهر أن الموشحات خلقت لتصف حياة الدعة والأنس والهناء، ولهذا كلما تعرضت لهذه الأغراض بدأ تأثيرها، وظهرت جديتها، وكانت اعلق بالنفوس، ولا سيما عندما تتعرض لوصف الطبيعة » .

كما أنها تبين حب الأندلسي لموطنه، واختلاط الطبيعة بروحه، وكيف هي ملتقى العشاق وساحة اللهو والطرب.

[1] . أنطوان محسن القوال، **الموشحات الأندلسية**، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت 2003، ص10 بتصرف.

ومما لا شك فيه أن الغزل يحتل الصدارة في الموشحات، لأن الشاعر الوشاح إذا شرب الخمرة، فمع الحبيبة، وإذا وصف الطبيعة فالمرأة صورة لها، "قال المقري" عن الأندلس أنهم إذا تغازلوا، جعلوا من الورد خدودا، ومن النرجس عيونا، ومن قصب السكر قدودا ..."[1].

ثم أضاف الوشاحون إلى الأغراض التي ذكرناها المدح، لأن أبهى مجالس الغناء كانت تعقد في قصور الملوك والأمراء، والتغني بمناقبهم ...، ثم توسعوا في الموشحات إلى أن طرقوا الأغراض الأخرى : كالهجاء ، والرثاء، والزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، والتصوف.

المطلب الثاني : الزجل

الزجل هو الموشح المنظوم باللغة العامية، فحين انتشرت الموشحات عند الطبقة المثقف، نسجت الطبقة العامية على سليقتها الأزجال التي كانت تؤدي مصحوبة بالموسيقى، ونظمت دون التزام بقافية أو وزن.

وفي هذا الصدد أورد "ابن خلدون" في "المقدمة": «لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور، لسلاسته وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال، بحسب لغتهم المستعجمة» .

إن للزجل صلة وثيقة بالعناء، فابن سعيد يذكر البدو كانوا يغنون نوعا من الأزجال على البوق، كما تحدث ابن قزمان يتحدث في ديوانه عن التغني بالزجل .

وقد ناقش بعضهم هذه الصلة، فتحدث عن نظرية "ريبرا" التي شرح فيها : كيف أن الزجل يغنيه في قرطبة جماعة من الناس، فيبدؤون بالمطلع ويكررونه مرات، ثم يكفون عن الغناء، ثم يبدأ الزجال منشدا الغصن الأول وحده، والجماعة ساكتة، ثم يعود الجمهور إلى الإنشاد، ليغني القفل الثاني من الزجل[2].

---

[1] . أنطوان محسن القوال، المرجع نفسه، ص13.
[2] .محمد رضوان الداية، **في الأدب الأندلسي**، دار الفكر،2000م، ص201، بتصرف.

نشأ الزجل في القرن الرابع للهجرة، حيث قال د. الأهواني أيضا : "قدرنا أن الزجل ظهر في الوقت الذي أخذ فيه التوشيح يتجه إلى التعقيد، يبتعد عن البساطة الأولى" ، ومعنى هذا أن الزجل يرجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري، حيث عاش عبادة بن ماء السماء، ويوسف بن هارون الرمادي، وهما اللذان أدخلا التغيير على التوشيح حسب ابن بسام.

وكان أول مبتكر للزجل هو أبو بكر قزمان، الذي قال عنه ابن سعيد :

"رأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب"، وها هو ذا يمدح في أحد أزجاله[1]، ويدخل في الموضوع دون مقدمات غزلية :

مثل ابن تاشفين يقال أمير والخلافة من بعد عادت تسير

بارك الله في هذا الأيام

تجي أعوام إذا مضت أعوام

ويجعلهم سلاطين الإسلام

ونصرهم فما هو نعم النصير

اهتم المستشرقون بأزجاله، وقد عدوا اكتشاف ديوانه حدثا مهما في تاريخ الشعر الأندلسي، بل الأوربي كله، لأهميته في الدراسات العربية والرومانية في القرون الوسطى، وكثرت البحوث حوله من جوانب متعددة : الأدب واللغة والاجتماع ...

ومن الزجالين الكبار في الأندلس نذكر : أحمد بن الحاج المعروف ب "مدغيلس" ، الذي جعل الأندلسيون مكانته شبيهة بمكانة ابن تمام في الشعر، وهناك على سبيل المثال لا الحصر : ابن غزلة، ولبن جحدر الاشبيلي، وأبو عمر الزاهد، والحسن بن أبي الدباغ، وغيرهم.

" ويؤثر عن أبي الدباغ حبه الشديد للزجل إنشاء، وجمعا فكانت له أزجال في الهجاء، وله يرجع الفضل في جمع مختارات الزجالين في مجوعتين : سمي الأولى ب "مختار ما للزجالين المطبوعين"، والثانية ب "ملح الزجالين" [1] .

[1]. محمد رضوان الداية، المرجع نفسه، ص205.

المطلب الثالث : العلاقة بين الموشح والزجل

الموشح مبني الوحدة فيه، أما الوحدة في الزجل أو "الدورة"، فيتكون في الغالب من قفل ذي أربعة أشطار (دون قافية في آخر الأول والثالث)، ومثاله من أزجال بن قزمان [2].

يا جوهر الجلال يا فخر الأندلوس
طول ما نكن بجاهك ليس نشتكي بوس

ويلي هذا القفل غصن من ستة أشطار [3] :

صار الزمان صديقي أراد أو لم يريد
وريت أن سروري جديد وزا جديد
وكل ليلة فرحة وكل ليلة عيد

ثم يجيء قفل بين شطرين فقط، وتتكرر الأقفال التالية جميعها كذلك :

وأجليت فيه أمالي وبت أنا عروس[4]

وهناك آخر وهو أشد شبها بالموشح إذ التقفية فيه مرعية حسب القانون العام الذي يعتمد عليه الموشح كله، في جميع الأشطار، ومثاله[5] :

صدعني وملني لما كان لقلبي حبيب
عجا الله على في صدري بوصالا قريب
ما تقاسي عليك وما نلقى في غنى من بان
وأنا بالوفاء والاستبقا لمن نبذل مكان
ونحبك وحبة تبقى على طول الزمان

1. شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار الفكر، لبنان، 2000م، ص151-154.
2. إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، مرجع سابق الذكر، لبنان ص262.
3. إحسان عباس،المرجع نفسه، ص262.
4. إحسان عباس، المرجع نفسه، ص262.
5. إحسان عباس، المرجع نفسه، ص264.

وهكذا إلى آخر الزجل، وهو شبيه كثيرا بالموشح، بل هو محاكاة له حتى ليمكن أن نسميه "الزجل–الموشح"، ومن أجل هذا نجد الزجال في آخر هذا النوع يبحث عن خرجة ملائمة أو 'مركز"، ويصرح ابن قزمان ببحثه عن المركز، إذ يقول في ختام الزجل السابق :

داب تنظر في مركز مطبوع بكلاما نبيل
وتراه عندي من قديم مرفوع ليس ترى به بديل
بالضرورة إليه هو المرجوع دعن عن قال وقيل

والشراب والغنا وجرفي الما في رياضا عجيب
هذا كل علال ه عندي لوصال الحبيب

وأحيانا يصرح ابن قزمان أنه نظم زجله على عروض موشح معروف، واستعار الخرجة منه :

ريت وحد النهار خرج بالكميت وفي قلب من اجل مما دريت
قلت فيه ذا الزجل كما قد رويت عرض التوسيع الذي سميت
" عقد الله راية النصر لأمير العلا أبو زكري"

" وهي خرجة مأخوذة من موشح لابن باحة "عقد الله راية النصر الأمير العلا أبي بكر"[1]

ولما كانت الخرجة في الموشح عامية أو العجمية، كانت أهم شيء فيه من حيث الالتفات المفاجئ للاتجاه نحو الختام.

[1] . إحسان عباس، المرجع نفسه، ص265.

ولكن الزجل عامي كله، تخالطه أحيانا ألفاظ أعجمية، فإذا لم يكن على مثال الموشح، احتال فيه الزجال على حركة الختام، كأن يعلق أن الزجل قد انتهى وجاء مليحا، مثلما أن الشعراء يقولون في القصائد أبياتا فيها بروعة القصيدة، ومن ذلك قول ابن قزمان[1] :

أي زجيل قلت فيك زمليع جا، والرسول
وعلمت في عروض "الغزال شق الحرق"

أو قد تتمثل حركة الختام بإرسال حكمة غريبة عن الزجل لأنها مأخوذة من الكلام الفصيح مثل :

لا نسيت إذ زارني حبي
وانجلى همي وزاد كربي
قلت ليه وقتا أخذ قلبي
قل متى تجين، قال غدا "وغدا للناظرين قريب"

أو يقول الزجال نفسه في الزجل :

تم الزجل وع أحلى من النسيم يغنيه الساقي ويرقص به النديم

وفي الأخير يجب أن نشير إلى أن الزجل لم يستعر دائما شكل الموشح، وأنه جرى كثيرا على طبيعة القصيدة من حيث خرجته بأكثر مما جرى على سياق الموشح، إلا أنه اتخذ في الغالب شكلا مستقلا عن الاثنين، وجاء أكثر انطلاقا منهما لاحتوائه السرد القصصي، ولعدم الإلحاح على التقفية في أجزائه كلها.

[1] . إحسان عباس، المرجع نفسه، ص266.

الفصل الثاني

خصائص القصيد الأندلسي

تمهيد:

المبحث الأول : الخصائص الأدبية للقصيدة الأندلسية

المطلب الأول : الأغراض

الفرع الأول : الرثاء

الفرع الثاني : الغزل

الفرع الثالث : الفخر

الفرع الرابع : الهجاء

الفرع الخامس : المدح

الفرع السادس : الزهد

الفرع السابع : المدائح النبوية

الفرع الثامن : شعر الطبيعة

المطلب الثاني : الأفكار

المبحث الثاني : الخصائص الفنية

المطلب الأول : الألفاظ والتركيب

المطلب الثاني : الصور والأخيلة

المطلب الثالث : الإيقاع

حظي الشعر الأندلسي كغيره من الأشعار بتنوع وتعدد في الأغراض تعبر عن سمات المشاعر الممتازة التي تشبه مشاعرنا، وقد امتاز هذا الشعر بخصائص وميزات تميزه عن غيره من الأشعار الأخرى وسوف نتعرف عليها من خلال التطرق إلى هذا المبحث الذي سيكشف لنا عن ذلك (الخصائص).

المبحث الأول : الخصائص الأدبية للقصيدة الأندلسية

المطلب الأول : الأغراض

الفرع الأول : الرثاء

هو أوضح موضوع تجلت فيه آثار "طريقة العرب" وتلك ظاهرة لمحها ابن بسام ووضح رأيه فيها، فقال معلق على قصيدة لأبي محمد بن عبدون :"وهذه القصيدة طويلة، سلك فيها أبو محمد طريقة في الرثاء إلى الإشارة والإيماء بمن أباده الحدثان من ملوك الزمان وقد نسق ذكرهم على توالي لزمانهم..."[1]، واقتفى أبو محمد أثر تحول القدماء من ضربهم الأمثال والتأبين والرثاء بالملوك الأعزة وبالوعول الممتنعة في قلل الجبال والأسود الخادرة في الفياض وبالنسور والعقبات والحيات في طول العمر ومن أمثلة هذه الطريقة في شعر ابن عبدون .

سلني عن الدهر تسأل غير إمعة فألف سمعك واستجمع لأبرادي

نعم هو الدهر ما أبقت عوائله على جديس ولا طعم ولا عاد

ألفت عصاها بنادي مأرب ورمت بال مامة من بيضاء هنداد

وهناك إلى جانب الاتجاه الذي يذهب إلى التمويل في الندب والتفجع دون استحضار الغيرة يمكن أن نسميه البكاء على زوال "الرقة والجمال" وغالبا ما يتصل هذا اللون ببكاء الزوجة بالطلاق إلى فقدانها بالموت، وهو لون ذاتي خالص يعتمد على ميل أصل نفس الشاعر إلى البوح كأنه ترجمة ذاتية قصيرة، ومن شعراء البدو من كرس حياته يبكي زوجته ويتحسر لفقدانها وهو رثاء الأفراد.

ويبلغ به وجد المحب حدا بعيدا حيث يقول :

هلا بعثت ولو بفرع بشامة عند الترحل أو بعد أراك

وقرأت حتى قويت ربعك أدمعي معنى الجوى والشوق في مغناك

[1] .إحسان علي، **تاريخ الأدب الأندلسي**، مرجع سابق ص117-118.

والقصيدة نتاج مشكلة اجتماعية، فالشاعر يحب هذه المرأة، ولكن يبدو أنه وقع ضحية يمين، أكد الشهود صدورها عنه، ووافق ذلك هوى[1] في نفس أهلها فأخذوها منه.

أما رثاء المرأة التي يسلبها الموت فعلل صورته الكبرى تتجلى في ديوان كامل من الشعر والموشح نظمه ابن جبير في رثاء زوجته أم المجد حيث يقول :

عج بالمطي على اليباب الغامر وأربع على قبر تضمن ناظري

فستبين مكانه بضجيعه وينم منه إليك عرف العاطر

فالشعر تعبير أدبي عن حتمية الموت وتشبث الإنسان بالحياة ومثله قول ابن زمرك في رثاء السلطان يوسف وعزاء لأخيه ووارث الملك بعده محمد الغني بالله :

عزاءا أمير المسلمين فأنها مقادير رب الخلق في الخلق يجريها

هو الموت ورد للخليفة كلها أو أحرها نقفو ميل أو إليها

وهناك نوع آخر من الرثاء وهو رثاء المدن والمماليك الزائلة وهو تصوير أحوالها البائسة وظروفها السيئة ما أنشده ابن حزم في تصوير حال قرطبة بعد الفتنة وما أصابها من التدمير والخراب، قصيدة لأبي إسحاق الإليوب في البكاء على مدينة البيرة ويقول ابن حزم :

بك عن قرطبة الذين فقد دهتها نظرة العين

أنظرها الدهر بإسلافه ثم تقاضى جملة الدين

عانت على الغاية من حسنها وعيشها المستعذب اللين

فانعكس الأمر فما أن ترى بها سرور أبين اثنين

[1] . إحسان علي، مرجع سابق، ص117.

فما أصاب قرطبة عظيم ولا يعلل لضخامته إلا لإصابة بالعين وكأن الدهر سكت عنها مدة طويلة ومنع الرزايا والمصائب، فلم تعد قرطبة التي يصفها على حالها التي كانت يعرفها، لقد صارت شبحا هائلا بدلا من قرطبة العظيمة.

ويدخل في هذا الباب قصيدة فريدة في ديوان إسحاق الألبيري يذكر فيها مدينة إليرة، التي كانت عروس تلك المدائن وقد تركها الحكام أيام الفتنة ونقلوا حاضرتهم إلى غرناطة فخربت إلبيرة حيث يقول :

يضيع مفروض ويعقل واجب	وإني على أمل الزمان لعاتب
أتندب أطلال البلاد ولا يرى	كإلبيرة منهم على الأرض نادب

ويقول أيضا فيها :

لعهدي بها مبيضة الليل فاغتدت	وأيامها قد سودتها النوائب
وما كان فيها غير بشرى وأنهم	فلم يبق منها الآن إلا المصائب

وهذا النوع من الوفاء للمكان قل ما نجد مثله في الشعر أو الآثار الأدبية وهو يذكر بوقوف الشعراء القدامى على الأطلال، الديار بعد هجر أهلها لها وعبث الرمال والأمطار فيها ! ...

الفرع الثاني : الغزل

الشعر الغزلي كان غزيرا وكتاب الحدائق لابن فرج يمثل هذه الغزارة وتسيطر على ذلك الغزل كثرة التذلل والشكوى وذكر الدموع والسهر وامتحان صدق المحب بتمني الموت وإظهار الغيرة وغيرها من المظاهر التي منحها ابن حزم في "طوف الحمامة". ويذكر من الغزل الجيد في أوائل الشعر الأندلسي قصيدة للأمير الأموي عبد الرحمن الحكيم جمع فيها بين الغزل والحماسة فقال بتشوق إلى زوجته المسماة "طروب" :

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا فما أقطع الليل إلا نحيبا
وأما بدت لي شمس النها ر طلقة ذكرتني طروبا
لقد أورث الشوق جسمي الضنى وأضرم في القلب من لهيبا
عدائي منك مزار العدا وقودي إليهم لهاما مهيبا[1]

فالغزل رقيق والشاعر يتشوق إلى محبوبته ويتذكرها بعد طول غياب ويصرح بحقيقة من نفسه وقلبه ويعتذر-في إطار الغزل- عن غيابه عنها وقد أصبح الشعر الغزلي بعد الرمادي وابن فرج يتخذ من التحدث عن العفاف أو عن التمكن من الشهوات مذهبا أدبيا دون أن يعبر في ذلك عن حقيقة أخلاقية ماثلة في نفسه أو ممن سلك هذه الخطة فقسم شعره بين مذهبي العفاف والمجون والشاعر أبو جعفر أحمد بن الآبار أحد شعراء دولة المقتضد، فقد عبر عن القناعة في الحب في مقطوعات كثيرة منها قوله :

حتى إذا غازلت أجفانه منه وحيرته يد الصهباء طوع يدي
أردت توسيده خدي وقل له فقال : كفك عندي أفضل الوسد
فيات في حرم لا غدر يذكره وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد

ولهم ما يميز الفن (الغزل) وضوح شخصيات بعض النساء اللواتي يدور حولهن الغزل أو في الأقل، دوران الغزل حول امرأة معروفة فمثلا كان ابن السراج المالقي شاعر بن حمود يتعشق جارية تدعى (حسن الورد) وجارية أخرى تدعى "أزهر" وله فيهما عدة مقطوعات أوردها ابن بسام في الذخيرة وكان ابن الحداد قد شغف في صباه بصبية نصرانية وكان يسميها في شعره "نويرة" وأسماها على الحقيقة "جميلة" وقد تضمنت أشعاره ألغاز كثيرة باسمها ومن شعره فيها :

ورأت جفوني من نويرة كاسمها نارا تضل وكل نار ترشد
والماء أنت ولا يصح لقابض والنار أنت وفي الحشا تتوقد

[1] .من المهابة وروي (لهاما، لهيبا).

وكذلك يظهر هذا عند ابن زيدون الذي شغف بحب ولادة بنت المستكفي والذي ظهر شعره في انسجام فني أعجب النقاد والأدباء قديما وحديثا ويبدو أن ابن زيدون أضفى على هذا الحب شيئا حين سجله في مذكرات أو ترجمة ذاتية، أو رواه متلذذا بذكريات الماضي فقد قال ابن بسام راويا منه "قال أبو الوليد" كنت في أيام الشباب وغيرة النصاب، هائما بقادة، تدعى ولادة فلما قدر اللقاء، وساعد القضاء كتبت إلي :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي   فإني رأيت الليل أكتم

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا   وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

ونجد لابن زيدون قصيدتين مشهورتين تعبر عن صدق العاطفة والمشاعر اتجاه محبوبته وهما قصيدة "أضحى التنائي بديلا من تدانينا" وقصيدته "إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا.

كما أن يمكن أن تظهر شيء آخر وهو أن الموشحات أعطت الغزل نفحة خامة كالذي نجده في موشحات ابن خاتمة ولسان الدين وابن زمرك من الغزل التقليدي قول ابن فوكون من قصيدة ساجل بها ملك غرناطة يوسف الثالث.

أمنها سوى طيف إلي حبيب   وليس سوى السماء رقيب

أتى وظلام الليل يسحب ذيله   وللبرق ثغر في دجاه شنيب

تطلع خفاف الجناح كأنه   فؤاد محب قد جفاه حبيب

وهيهات يشفى القلب طيف خيالها   وقد علمت أن الخيال كذوب

الفرع الثالث : الفخر

دخل شعر الفخر الأندلسي مع الوافدين إليها، والفاتحين لها ونقرأ في شعر عبد الرحمن الداخل من قصيدة بفخر نفسه ويرد على من نسب الفضل في إمارة عبد الرحمن إليه وعلى من زعم أن سعيد بن عبد الرحمن (حظه) لا عقله هو الذي أنجح دعوته، قال :

لا يلف ممتن علينا قائل لولاي ما ملك الأنام الداخل

سعدي وحزمي والمهند والضنا ومقادير بلغت وحال حائل

ويقول قوم : سعده لا عقله خير السعادة ما حمله العاقل

وفي شعر الحكم بن هشام (عرف بالحكم :الريضي) بعد أن قضي على ثورة الريض الجنوبي بقرطبة ضده.

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا وقيما لأمت الشعب منذ كنت يافعا

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثلمة أبادرها مستنضي السيف دارعا؟

وحين ثارت العصبية بين العرب والمولدين كثر شعر الفخر والهجاء، ومن شعراء العرب ، محمد بن سعيد الأسدي من شعره قوله يرد على القبل شاعر المولدين :

هنا زلنا معمورة لا بلا قع وقلعتنا حصن من الضيم مانع

ألا فأذنوا منا قريبا بوقعة تشيب لها ولدانكم والمواضع

وكان ابن حزم قد تعرض لمضايقات عدد كبير من أهل زمانه من الفقهاء الذين حسدوه ونفسوا عليه علمه ومؤلفاته، ومن الحكام من سايروا الفقهاء وتقربوا إليهم بإزعاجه، فقال من قطعة حسنة جدا : (أنا الشمس) :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلقي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكري النهب

يقول إنه :"لا كرامة لبني في قومه" و "زامر الحي لا يطرب" وشخصه بالتكريم.

وفي ملوك عصر الطوائف الأمراء عبد الملك بن هذيل.

حكم أبوه هذيل منطقة السهلة (بين طليطلة وسرقسطة) تولى بعد أبيه ووصف بأنه كان غيثا في الندى وليثا في العدى، ومن شعره :

أنا ملك تجمعت في خمس كلها للأنام محي مميت

هي : ذهن، وحكمة، ومضاء كلام في وقته، وسكوت !

ويظهر أثر الحداثة والحضارة في هذه الخمسة التي تجمعت في الشاعر الأمير التي يمدح بها نفسه، ولم يورد من الأركان الثلاثة القديمة.

في معاني المديح شيئا أعني :الكرم والشجاعة والنسب، وإن كانت كلمة المضاء في البيت الثاني قد تدخل عنصر الشجاعة تحت مظلتها.ويفخر ابن خفاجة بنفسه وينفر من محبه الذين يراهم على شاكلته من أهل بلده (شقر)

مضاء كما سل الحسام من الغمد وبأس كما طار الشرار من الزند،

ساقوا وما غير النجيع سلافة تدار ولا غير الأمنة من ورد[1]

وإني على أن لست صدر قناتيهم لخدن العلا ثوب الندى لذة المجد

أخوض الظبا تحضر في النقع بيضها فألقي المنايا الحمر في الحلل الرمد[2]

وهو فخر على الطريقة العربية البدوية، يستحضر الشاعر معانيه يصطنع أدواته وأساليبه.

وفي شعراء ملوك بني الأحمر يوسف الثالث ومن شعر يفخر بنفسه وشجاعته وجهاده.

راق الزمان وجاءنا ميقاته بالصحوة الغراء أيامه

نأتم في حرب الصليب وحزبه يشفع كل موحد وإمامه

[1] . إحسان علي، المرجع نفسه ص79.
[2] . إحسان علي، المرجع نفسه ص80.

الفرع الرابع : الهجاء

لقد مضى الأندلسيون في أهاجيهم على نهج من تقديمه من الشعراء ويغرض الدكتور فوزي عيس للعوامل المؤثرة في الهجاء الأندلسي والتي رسخت لوجود الهجاء في الأندلس وهي عوامل سياسية واجتماعية ومن الذين اشتهروا في الهجاء مؤمن بن سعيد (ت267هـ) وقد رماه طول لسانه في السجن حتى مات وعبد الله بن الشهر وكذلك نجد محمد بن يحي الشهير الملقب القلفاط وفي عصر الطوائف نجد شاعران شهرا هما ابن سارة الشنتريني والميسر أما ابن سارة له قد أورده ابن بسام (أمثلة في كتابه) أمثلة في هجائه في كتابه الذي سماه "الدخيرة الذخيرة" ويشبه الميسر وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه "شفاء الأمراض في أخذ الأغراض" وله أهاج قرابة في مهما في قوله في أبي عبد الله بن الحداد :

قالوا ابن حداد فتى شاعر — قلت وما شعر ابن حداد

أشعار مثل فراخ الزنى — فتش تجد أخبث أولاء

وهج أيضا بلغين فقال : لما رأيته شغوفا بنشيد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة قلت :

يبني على نفسه سفاها — كأنه دورة الحرير

ولا تنسى هجاء صاحب عبد الله ابن سارة الشنتربني الذي يخاطب فقهاء السوء الذين ينتشرون بالرياء ويتظاهرون بالصلاح والذين يأكلون الدنيا وفي ذلك قوله :

لأهل الرياء لبسم نموسكم — كالذئب دلج في الظلام العاتم

فلكم الدنيا بمذهب مالك — وقسمتم الأموال بابن القاسم

وركبتم شهب الدواب بأشهب — وناصع صغت لكم في العالم

وقد علق د.ضيف على هذه القطعة بقوله : إن الشاعر يتهمهم بأعل الأموال بالباطل ويزعم أنهم ملكة الدنيا بمذهب مالك وأئمته المصريين الذين تتلمذ على أيديهم فقهاء الأندلس واتخذوا المتهم مصدرا لفتاويهم وأحكامهم، وهم ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز.

ولما انتهت أيام الطوائف جاء عهد المرابطين إثر النقد الاجتماعي لأسباب عديدة ونجد شعر ابن خفاجة في نقد الفقهاء:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد وكنائس

وكذلك علا صوت الفقيه الزاهد أبي إسحاق الإلبيري ضد ابن النفريلة اليهودي وأنشد قصيدة طويلة مجلجلة الصوت حفظها الناس وكانت في أهم المحرضات على الثورة العارمة الأهل غرناطة والتي انتهت بمقتل المنتقد السيئ السلوك والمفسد في الأرض ومن شعره المذكور :

الأقل لصنهاجة أجمعين بدور الندي وأسد العرين

لقد زل سيدكم زلة نقر بها أعين الشامتين

تخير كاتبه كافرا ولو شاء كان من المسلمين

وكان من الهجائيين الأعمى المخزومي (أبو بكر محمد) وقد لقب ببشار الأندلس الذي عرف بكثرة الهجاء، واستطالة لسانه على الناس وجعله ابن سعيد في منزلة الخطيئة "لم يسلم من هجوه أحد" وروي أن جده عبد الملك ابن سعيد صاحب قلقه بحصب سأل مرة عن الأعمى المذكور متى يرحل وكان زائرا في البلدة لكي يكرمه ويحمله من عطائه فأخطأ المرسل أداء الرسالة مما حفز الشاعر على الإسراع إلى التعليق بلسان الهجاء .

لا ترجون بني سعيد للندى فالظل أفيد منهم للسائل !

قوم مصيبتهم بطلقة وافد وسرورهم أبدا بخيبة راجل !

الفرع الخامس : المدح

اهتم الشعراء بالمدح باعتباره طريقا ينالون به الحظوة عند ممدوحهم ويذكر أن شعر المدح في الأندلس لم يختلف عنه في المشرق من جهة، وفرة دواعيه وكثرة شعرائه، فقد الدولة الأموية بأمرائها وخلفائها وحكامها ومقصدا لشعراء الأندلس. ومن بين شعرائها في غرض المديح ابن عبد ربه وقوله في أحد فتوح الناصر الأموي :[1]

في غزوة مئتا حصن ظفرت بها   في كل حصن غواة للعناجيج
ما كان ملك سليمان ليدركها   والمبتني سد يأجوج ومأجوج

فهو يثني على عبد الرحمن، وجيشه الذي فتح مئتي حصن من المخالفين وناقصي العهود،وهو نصر يشبه بانتصارات جيوش الرسل والأنبياء وأولي العزم وكان أبو أحمد بن دراج القسطلي (347-421هـ) لأشهر شعراء الحاجب المنصور (محمد بن لأبي عامر) ويقول في قصيدة يعلق ولاءه لدولة بني أمية والحاجب المنصور :[2]

ألا هكذا فليسلم للمجد من سما   ويحمي دمار الملك والدين من حمى
فهذا عظيم الترك قد جاء خاضعا   وألقى بكفيه إليك محكما

أما في عصر الطوائف فكان الملوك في حاجة إلى أصوات الشعراء ودعايتهم فمال أكثرهم إلى تقريبهم وإثابتهم على مدائحهم، ومن هؤلاء ابن اللبانة الذي مدح المعتمد بن عباد فيقول:

ملك إذا عقد المغافر للوغي   حل الملوك معاقد التيجان[3]
وإذا غدت راياته منشورة   فالخافقان لهن في خفقان[4]
يا منشئ العلياء بعد مماتها   تفني النجوم وما ثناؤك فان[5]
الأرض حاجتها إليك بطبعها   كالعين حاجتها للإنسان[6]

[1] عبد الرزاق سليمان سالم، ترسل الشعراء في الأندلس، ص 163.
[2] محمد رضوان الداية، مرجع سبق ذكره، ص 62-63.
[3]. المغافر ج مغفرة :الخوذة من زرد.
[4]. الخافق :الأفق هما خافقان : أفق المشرق وأفق المغرب.
[5]. إسنات العين.
[6]. البؤبؤ.

ومن شعر ابن جزي الأديب الأندلسي والشاعر البارع بمدح أبا الحجاج يوسف ملك غرناطة قوله :

إن المعالي والعوالي والندى والبأس طوع يدي أبي الحجاج
ماض العزيمة والسيوف كليلة طلق المحيا والخطوب دواج
ليت الوغي والخيل تؤجى بالقنا والبيض تنهل منادم الأوداج !

واستمر المديح في عصر بني الأحمر فكان من شعراء هذا الغرض في القرن السابع أبو البقاء الرندي وفي القرن الثامن جمهرة عظيمة منهم ابن زمرك الذي خلد شعره المدحي بنقشه في الحجر على جدران قصر الحمراء وله قصيدة مطولة مدح فيها الغني بالله ووصف أشياء في قصر الحمراء وأول قصيدة يقول فيها :[1]

سل الأفق بالزهر الكواكب حاليا فإني قد أودعته شرح حاليا

ويقول فيها أيضا :

فلولاك يا شمس الخلافة لم يبن سبيل جهاد من قبل خافيا
ولولاك لم ترفع سماء عجاجة تلوح بها بيض النصول دراريا
ففتحت مرقاة الممنع عنوة وبات به التوحيد يعلو مناديا
وناقوسه بالقسر أمسى معطلا ومنيره بالذكر أصبح حاليا

وهنا نلتقي مرة أخرى مع ابن زيدون في قصيدة يمدح المعتضد هذا المادح (ابن زيدون) الذي أوتى من الطبع ما جعل أهل الأندلس يلقبونه ببحتري المغرب حيث يقول :

هو الملك الذي برت فسرت خلال منه ظاهرة النواحي
أعز إذا تجهم وجه دهر تبلج فيه كالقمر اللياح
هو المبقى ملوك الأرض تدمي قلوبهم كأفواه الجراح
رآه الله أجود بالعطايا كمن قاس النجوم إلى جراح

[1] محمد رضوان الداية، مرجع سبق ذكره، ص 162-168.

ومعتقد الرياسة في سواه كمعتقد النبوة في سجاح

الفرع السادس : الزهد

عرف الشعر الأندلسي الزهد (الاتجاه الزهدي) في العصر السابق على يد أبي زمنين وهو من رجال القرن الرابع ومن بين الشعراء الذين غلب على أشعارهم الزهد نجد إسحاق الإلبيري وذلك لظروف سياسية واجتماعية، وثقافية .[1]

وكانت الفلسفة لا الزهد أحيانا مصدر هذا الزهد، ونحن نعلم ذلك من حال الشاعر ابن الحداد الذي اختص بمدح بني صمادح ولما أخرج عن المرية ونفض يديه من ممدوحه بني صمادح قال :

لزمت قناعتي وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا

وكنت سمير أسعاري سقاها فعدت لفلسفياتي سميرا

وهناك صنف آخر من شعر الزهد يصدر عن علماء أتقياء عاملين بعلمهم مثل ابن الربوالي الفقيه المحدث وقال فيه الحميدي فقيه مشهور عالم زاهد وله أشعار كثيرة في الزهد منها قوله :

يا معجبا بعلائه وغنائه ومطولا في الدهر حبل رجائه

كم ضاحك أكفانه منشورة ومؤمل والموت من تلقائه

وممن نحا هذا المنحنى أحمد الإقليشي وكان زاهدا عازفا عن الدنيا يقول في قصيدته :

ثلاثون عاما قد تولت كأنها حلوم تقضت أو بروق خواطف

وجاء المشيب المنذر المرء انه إذا رحلت عنه الشبيبة تالف

[1] عباس احسان، مرجع سبق ذكره، ص 130.

فيا أحمد الخوان قد أدبر الصبا ونادك من سن الكهولة هاتف

وهناك شاعران يعتبران فارسي الزهد اللذين جريا فيه إلى نهايته وجعلا منه فناهما ابن العسال وأبو إسحاق الإلبيري.

يقول ابن العسال في قصيدته :[1]

انظر الدنيا فإن أبصرتها شيئا يدوم

فاغد منها في أمان إن يساعدك النعيم

وإذا أبصرتها منك على كره تهيم

فاسل عنها واطرحها وارتحل حيث تقيم

إما إسحاق الإلبيري ففي قصائده نجد تذكير ووعظ وتخويف من الموت ونصح بالتخلي عن المال والجاه يقول في قصيدته :

فيا إخوتي مهما شهدتم جنازتي فقوموا لربي واسألوه نجاتي

وجدوا ابتهالا في الدعاء وأخلصوا لعل إلاهي يقبل الدعوات

وقولوا جميلا إن علمتم خلافه وأغضوا على ما كان من هفواتي

ولا تصفوني بالذي أنا أهله فأشقى، وحلوني بخير صفات

ولا تتناسوني فقدما ذكرتكم ووصلتكم بالبر طول حياتي

بالرغم فارقت الأحبة منكم ولما تفاقني بكم زفراتي

أما بالنسبة لشعر التصرف فإن أعلامه كثيرة فقد عرفت الأندلس الصوفية والمتصوفة ومن الأسماء المشهورة في التصوف بالأندلس :[2]

محمد بن عبد مسرة وأيضا أبو عمرة أحمد بن يحي ين عيسى الإلبيري ومن شعره :

شربت بكأس الحب من جوهر الحب رحيقا بكت العقل في روصة الحب

[1] عباس احسان، مرجع سبق ذكره، ص 133.

[2] عباس احسان، مرجع سبق ذكره، ص 138

وخامر ماء الروح فاهتزت القوى قوى النفس شوقا وارتياحا إلى الرب

ونادى حثيثا بالأنين حنينها إلهي، إلهي من لعبدك بالقرب

وفي شعرائهم أبو العباس أحمد بن محمد موسى الصنهاجي الأندلسي ومن شعره الصوفي (الذي ظاهره غزل وحقيقته الموجهة) يقول :[1]

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالت ليلي ولدعي النجوم كنت مخلا

إن للعاشقين عن قصر اللي ل وعن طوله من الفكر شغلا

الفرع السابع : المدائح النبوية

كان الشعر والموشح عند الأندلسيين وسيلة للتعبير عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والكلام على مولده والثناء عليه ومدحه.

ولما كانت ظروف الأندلسيين الجهادية المتواصلة تلفت الشعراء والأدباء إلى الديار المقدسة وإلى المقام النبوي فظهر عدة شعراء منهم ابن السيد البطيوسي فيقول :

من أين تعودك الفضائل كلها وعليك مقامات الهدي والمعالم

ومبعثهن ساد الورى وحوا العلا بمولده عبد الإله وهاشم

بني حوا فضل النبيين وأغتدي لهم أول في فضل وهو خاتم

واشتهر من المدائح النبوية ابن الجنان وهو عبد الله بن محمد القيسي المعروف بابن الأنصاري الخمسة المشهورة التي منها :

الله زاد محمد تكريما

وحياة فضلا من لدنه عظيما

[1] محمد رضوان الداية، مرجع سبق ذكره، ص 95.

واختصه في المرسلين كريما

دار رأفة بالمؤمنين رحيما صلو عليه وسلموا تسليما

ومن شعره في المديح النبوي أيضا[1]

يا رب أن شفيعين ذنوبي في يوم القيامة خير الخلق والنسيم

محمد خصا الرسل المبلغ للذ ين الحنقي والإسلام للأمم

الفرع الثامن : شعر الطبيعة

أغاص الشعر الأندلسي في ما يرى ويسمع ويلمح في البساتين والرياض والأنهار، والجداول وأعجبته وتنبت الأرض من الشجر والنبات وخصوصا تلك الأزاهير والزنابق وألوان الورد البديع الحسن الرانق المنظر ورصدوا ملامح الجمال في كل شيء حولهم مما أخرجته الطبيعة دون أن تمتد إليه يد الإنسان. [2]

وجعل مفردات الطبيعة على اختلاف أنواعها معجما لغويا وفنيا يرجع إليه في صناعته الشعرية، وربط بين الطبيعة وبين رؤيته الخامة للحياة بما فيها من عظات وعبر ونجد هذه النظرة المفعمة بالإعجاب بالطبيعة الأندلسية في أشعار كثيرة تشمل عصور الأدب الأندلسي من بداياته إلى خواتيمه، ويندر أن يخلو شعر أندلسي من وقفات عند الطبيعة ونجد أيضا عباس ناصح الجزائري يصف قطعها ليلا فيقول :[3]

ومخوفة تنفي مخافتها نوم الفتى ذي المرة الندب

للجن في أجوازها لعظ بالليل مثل تنازع الشرب

وترى بها حون النعام إذا أشرفن كالمهنودة الجرب

[1] . محمد رضوان، مرجع سبق ذكره، ص156.
[2] مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي موضوعاته فنونه**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 4، 1979، ص 120 -121.
[3] مصطفى الشكعة، مرجع سبق ذكره، ص113.

وموضوع القطعة والمفردات التي استخدمها الشاعر والصور التي استحضرها نذكر بالبادية، وتوحي إلينا بالمشرق صحاراه، ورؤى شعرائه فهي فلاة أو صحراء ممتدة يخاف من يجتاز مخاطرها، ويحرمه هذا الخوف منامه ويتخيل الجن (لكثرته وتداخله) كأنه أصوات الشاربين يلفظون في حانة من حانات ويشبه بالنعام وهو من طيور البوادي عادة بالجمال المطلية بالغار أو القطرات (بجامع السواد).[1]

والشيء الملاحظ أن الشاعر استطاع أن يجمع بين غرض الغزل والوصف ويمتزج أحدهما بالآخر بلباقة، وإتقان صنعة وان يبرز كلا جانبي النص إبرازا معجبا من غزل رقيق تعاطفت معه الطبيعة كلها ومن وصف دقيق نقل قارئه وسامعه إلى حيث كان، ودعاه إلى التعاطف معه أيضا.

من الشعر المشهور الذي التقى فيه وصف الطبيعة بغرض الغزل قصيدة قصيرة لأبن زيدون، وصل فيها بين وصف جانب من حدائق الزهراء الممتدة الأرجاء الظليلة الضياء، البديعة الحسن الحافلة بكل لون من ألوان النبات والزهر والورد وسائر ما تضمنته تلك الحدائق الفائقة، وبين ذكريات أيام خالية، جمعت بينه وبين أحبته، لقد جعل الشاعر الطبيعة مهادا الحديث.

الغزل ونسج من الغرضين الاثنين قصيدة محكمة حية شديدة الأناقة والظرف، بالغة العذوبة والرقة فقد اتخذ الشاعر الزهراء مهادا لقصيدته ومن لا لذكرياته فقد كانت مدينة ذات حدائق بديعة حيث يقول :[2]

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا	والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصالته	كأنه رق لي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم	كما شققت عن اللبات أطواقا
بما يستميل العين من زهر	جال الندى فيه حتى مال أعتاقا

بالإضافة إلى هذا يقول الشاعر محمد بن أحد شعراء القرن السادس الهجري :

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سبق ذكره، ص113-114.
[2] محمد رضوان، مرجع سبق ذكره، ص113.

في أرض أندلس تلتذ نعماء ولا تفارق القلب سراء
وكيف لا تبهج الأبصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها والخز روضتها والدر حصباء

وهو شعر رقيق، ينصح بمحبة الأندلس، والأندلس بما فيها من جما ل الطبيعة ويستطرد إلى ذكرها محاسنها من وراء نظره الإعجاب بالأرض والتمسك بالوطن، وألف كل ما فيه من بر وبحر، وأرض وسماء وجبال وانهار والمبالغة في وصف المحاسن والاستغراق، مجالي الجمال.

وهناك موضوعات أخرى تناولها الشعر الأندلسي ومنها حنين إلى الوطن وهو شعر ينضح بالروح الوثابة والعاطفة المشبوبة والتي لا تخلو –غالب- من ميل إلى الحزن والتأمل والعودة إلى الوطن وهذا النوع من الشعر في الأندلس كثير وذلك لظروف الأندلس منها بعده عن بلاد المشرق وقصد الديار الله المكرمة وسفر العلماء ورحلات التجارة ...

ومن الشعراء من برعوا في هذا النوع من الشعر الذي نلمح فيه الرقة وقوة الحنين في قصائد ابن زيدون الذي ذكر فيها مدينة(قرطبة) وهو بعيدا عنها يقول في قصيدة محمسة

أ قرطبة الغراء هل فيك مطمع؟

وهل كبد حرى لبينك تنقع؟

هل للباليك الحميدة مرجع؟

ضف إلى هذا قصيدة للرصافي البلنسي يذكر فيها حنينه وشوقه إلى بلدته بعد خروجه منها صغيرا حيث قال :[1]

بلادي التي ريشت قويدمتي بها فريخا و أوتني قرارتها وكرا
مبادئ لين العيش في الريف الصبا أبي الله أنسى لها أبدا ذكرا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها ولكن عزينا من حلاه ولم تتعرى

[1] محمد رضوان، مرجع سبق ذكره، ص131.

وخرج أبو البقاء الرندي من الأندلس إلى المغرب وقد سجل في قصيدة نظمها بمدينة مراكش بعده عن الأندلس وعن مدينة رندة خاصة فقال :[1]

بلغ الأندلس الزمان وصف لها ... ما بي من أشواق وبعد مزار

إذا مررت برندة ذات المنى ... والروح والزيتون والأزهار

سلم على تلك الديار وأهلها ... فالقوم قومي والديار دياري

وما يلفت في هذه القصيدة فهي تحمل تعبر عن شوقه وحنينه إلى بلدته رندة التي تستأهل منه تلك اللفتة واللهفة في آن واحد.

وهناك موضوع آخر وهو شعر الاستنجاد واستنهاض الهمم :

وهو شعر نظمه شعراء الأندلسي، وهو دعوة إلى الجهاد والدفاع وسجلوا فيه الأحداث التاريخية التي جرت بين أهل الأندلس وبين الدول المعادية ووصفوا النكبات التي أصابتهم من ويلات استنهضوا الهمم، وتوسلوا إلى ذلك بالقيم التي لا يجوز أن تهدر بين أبناء الأمة الواحدة.

ومن الشعراء الذين شاركوا في شعر الاستنجاد أبي البقاء الرندي وقد ارتفع صوته عاليا يصف المشهد المأساوي بعد ذلك الانهيار الرهيب والتضييع الذي وقع بين أهل الأندلس والمغرب ومن قصيدته المشهورة :

يا راكبي عناق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السيف عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيران

وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان

أعندكم نبأ من أهل أندلس؟ ... فقد سوى بحديث القوم ركبان

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان؟

[1] محمد رضوان، مرجع سبق ذكره، ص137.

والشعر دعوة عالية الصوت واستنجاد من الجوارح، وهو موجة ،إلى بني مرين الذين صاروا إساءة المغرب ومن وراءهم والدعوة تصل إلى كل عربي ومسلم وفي كل مكان وراء القدوة للنجدة والإنقاذ.

ومن أشعار الحماسة حيث يقول أحد الشعراء لم تعرف أسمه والسبب ربما نسي التاريخ ذكره أو أغفل هو اسمه من نصوص القصيدة :[1]

خذوا ثأر الديانة وانصروها	فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهينوا، وسلوا كل غضب	تهاب مضاربا منه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى	بكم من أن تجاروا نفورا
ونرجوا أن يتيح الله نصرا	عليهم إنه نعم النصير

وهو شعر الحماسة فيها وصف الحال الراهنة بكل ما فيهال من ظلال مأساوية، وفيها إندفاعة العربي المسلم وقد استبيح حماة فإنهم أمام حلين لا ثالث لهما فإما الثبات والجهاد والمقاومة والنصر وإما الحل الآخر الذي لا مندوحة عنه وهو الموت أو ما هو أشد وهو الذل والمهانة والصغار،وذلك يؤدي حتما إلى الموت.

وهناك غرض آخر وهو شعر الأدب والحكمة وقد ظهر في الأندلس ومن الشعراء الذين امتازوا بهذا النوع من الشعر ابن عبد ربه وهو يصف رجلا بالأدب الجم والسلوك الحسن فقال :

أدب كمثل الماء لو أفرغته	يوما لسال كما يسيل الماء

[1] محمد رضوان، مرجع سبق ذكره، ص168.

ونجد من العلماء الأدباء أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالقي الأندلسي المعروف بابن الشيخ صاحب ألف باء، ويقال عنه انه رزق بابن علي كبر فأراد ان يؤلف له كتاب في مجموعة من الفوائد فأصدر "ألف باء" وهو كتاب نفيس في بابه ونقرأ من شعر المؤلف نفسه قوله في المقدمة :

هذا كتاب ألف يا	صنعته يا أليا[1]
من أجل نجلي المرجي	إذ أشد أن يلبا[2]
أدعوا لعلم ومن حقا	من دعا أن يلبي[3]
وأنت عبد الرحيم الظ	فل الصفير المربي
إذا عقلت فقل قد	رضيت بالله ربا
ودين الإسلام دينا	وبالنبي المنبا[4]
محمد، قل رسولا	وقل نبيا محبا[5]
ثم استقم واتبعه	تردد من الله قربا

وقد نصح ابنه العلم وملازمة العلماء[6].

[1] . أليا أي الياء جمع لبيب.
[2] . يلب مضارع لب: صار ذا عقل وفهم، فهو لبيب.
[3] . أن يستجاب له.
[4] . المبعوث نبيا مؤيدا من الله تعالى.
[5] . محبوبا.
[6] . محمد رضوان، المرجع نفسه ص109.

المطلب الثاني : الأفكار

جاءت أفكار الشعر الأندلسي بسيطة لا يظهر أي أثر للعمق تفهم من القراءة الأولى دون العمق فيها لأنهم لا يشتغلوا بعلوم الفلسفة والنطق وغيرها مثال قول السميسر:

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم

أسلمتم الإسلام في أمر العدى وقعدتم

وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم

لا تذكروا شق العصا فعصى النبي شققتم

وكذلك جاءت أفكارهم شاملة وهذا راجع شيوع الشعر وانتشاره انتشارا واسعا وقدرة الشعراء على اكتساب بعض المواهب الشعرية من المشارقة وتأثرهم لهم مثال قول المظفر بن المنصور في قصيدة يتشوق فيها لأبي وطنه :[1]

أيها الراكب الميم أرضي أقر من بعضي السلام لبعض

إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي وماليكه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي

كما أنهم حددوا في بعض المواضع والأفكار وتفرقوا فيها منال وصف الطبيعة قول أبي الحزم بن جهور في الورد وتفصيله على سائر الأزهار :[2]

الورد أحسن ما رأت عين وأز

كى ما سقى ماء السحاب الجائر

خضعت نواوير الرياض لحسنه

فتدللت تنقاد وهي شوارد

---

[1] محمد رضوان الداية، المرجع نفسه ص78.

[2] الفاخوري حنا، **الموجز في الأدب العربي** وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ج3، ص 151.

ورثاء المماليك قول عبد المروي يذكر ما أصاب قومه في الجزيرة الخضراء :[1]

لتبكي لقتلاها العيون الواجمة فقد عظم الخطب الخطوب العظائم

إلا أن فيض الدمع هاج هموله رجال ثوبوا في الحرب صيد الأكرم

ألمت بأبناء الجزيرة أمة مجوسية النساب معر الأشائم

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سبق ذكره، ص250.

المبحث الثاني : الخصائص الفنية

المطلب الأول : الألفاظ والتركيب

جاءت ألفاظ الشعر الأندلسي سهلة رقيقة عذبة، خيالية ما فيها أثر الغموض أو التواء أو خلل، لأنهم لم يملوا التراكيب ما تطبق من المعاني المزدحمة، فجاء أكثر شعرهم جاريا من غير تكلف أو تصنع يقول محمد بن الحسن يقدم لنا صورة سريعة محبوكة للنهر:[1]

والنهر مكسو علالة فضة فإذا جرى سيل فثوب نضار

وإذا استقام رأيت رونق متصل وإذا استدار رأيت عطف سوار

ويقول ابن حزمون في هجاء نفسه :

تأملت في المرآة وجهي فخلته كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو

إذا شئت أن تهجو تأمل خليقتي فإن ما قد أردت من الهجو !

ويقول أيضا ابن زيدون :

هو الحاجب المعتلى للعلا شماريخ كل مسق أشم

مليك إذا سابقته الملوك حوى الخصل أو ساهمته تسهم

سما للهجرة في أفقها نجر عليها ذيول الهمم

ألفاظ هذه الأبيات كما تبدو سهلة رقيقة في متناول الجميع بعيدة عن الغموض ولا تحتاج إلى قاموس أو معجم لشرحها وبيان معناها وهذه أحد سمات الشعر الأندلسي.

[1] محمد رضوان الداية، المرجع نفسه ص76.

المعاني والأفكار :

تتميز معاني الشعر بأنها واضحة جلية بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء، لأنه لم يقدر للأندلسيين أن يشتغلوا بعلوم الفلسفة والمنطق كما تتميز بالخلو من المبالغة في طلب المعاني، ووجد فيها كثيرا من المعاني المبتكرة التي لم يكن للشعر العربي عهد بها، وقد نلمس في القصيدة الأندلسية تعقيدا شفافا، تعقيدا بعيدا عن التعقيد الذي لا ينسجم مع الحياة بعيدا عن التعقيد الغموضي الذي يخفى بعض الشعراء تحته تقصيراتهم التجريبي والإبابي، خذ مثلا ابن النظام :[1]

وقد بدت ليمار الوية تعبق مسكا طلوعها عجب

رؤوسها فضة مورقة تشرف بورا عيونها ذهب

فهو أمير الرياض حف به من سائر النور عسكر لجب

[1] سالم عبد الرزاق، **ترسل الشعراء في الأندلس**، دار المعرفة، الاسكندرية، 2008.

المطلب الثاني : الصور والأخيلة

أبدع الأندلسيون في هذا الجانب أيما إبداع، وكان لهم فيه الظهور والتفوق، فقد برعوا في التصوير وأغرقوا في التخيل، تعاطف الشعراء مع الطبيعة الخلابة، وانعكس ذلك على شعرهم فاتوا بالتشبيهات الرائعة والاستعارات الدقيقة والتشخيص الممتع، فالتشخيص القوي الطبيعية أشد أغرب مظاهر الشعر عند الأندلسيين فإن عبقريتهم الخلاقة في موضوع التمثيل استطاعت أن تحيي الحب والموت والشباب والربيع، والفرح والألم ، إنهم بدافع الغريزة والميل الطبيعي، يخرجون الأشياء في إنساني، ويخولونها الإحساس والشعور، وإنهم ليعتمدون إلى الذكرى نفسها فيعملون على إحيائها بتمثيل الماضي تمثيلا دقيقا وكثيفا . وهم بذلك الشعراء المشارقة في كون التجربة السالفة تصبح عند أولئك المشارقة مجرد اعتبار فلسفي ضعيف الصلة بالذات .

ومن الأمثلة :

يقول أحد الشعراء وصف قطرات الندى وهبات الصبا فيقول :

هبت لنا ريح الصبا فتعانقت	فذكرت جيدك في العناق وجيدي
وإذا تألق في أعاليها الندى	حالت بأعناق ولطف قدور
وإذا التقت بالريح لم تبصر بها	إلا خدودا نلتقي بخدود
فكأن عذرة بيتها تحكي لنا	صفة الخضوع وحالة المعمود
تيجانها طل وفي أعناقها	منه نظام قلائد وعقود

ويقول أيضا عبد الرحمن ابن عثمان الأحسم بعجب بالورد :[1]

ورود تباهي الشمس في رونق الضحى	بمطلعات كالنجوم الطوالع
مضرجة أبشار هن كأنها	خدود تجلت عن حسور البراقع

تظهر في هذه الأبيات كثرة التشبيهات والاستعارات كلما تلمس قوة التشخيص.

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سبق ذكره، ص252.

المطلب الثالث : الإيقاع [1]

كان للأندلسيين دور ملموس في دراسة الشعر تأليفا نقدا وتصحيحا، تتجلى في عدد من المؤلفات العروضية والنظرات النقدية التي تناولت النص الشعري المشرقي والأندلسي أيضا تناولا يعكس ثقافة عروضية واسع يتسلحون بها، ووعيا شديدا بقيمة اتساع الإيقاع في إفراز المعنى وجلائه يحدوهم، فكثيرا ما أشاروا إلى من لم يحسن إحكام الوزن وضبطه من الشعراء، فأبو عبد الله بن رشيد "كان له شعر يتكلفه، ولا يكاد لعدم شعوره بالوزن يتألفه ..." وقد كان الوادي آشين ينتقد سراج الدين عمر بن احمد بن الخضر بن ظافر الأنصاري (ت627)، لأنه لا يحسن إحكام وزن الشعر، ولا يميز بين بحوره، فتراه يخلط في القصيدة الواحدة بين البحرين فقال : "ومن شعره يمدح (التشبيه) ما أنشدنيه : (من الطويل):

وما سمي التنبيه إلا لأنه ينبه عن كل الحوادث للفهم

وأنشدني غير هذا، مع أنه لا يحسن وزن الشعر... ورأيته يستعمله في القصيدة الواحدة من بحرين، ولا يميز بين ذلك كالطويل والبسيط وغيرهما، وقيدت ذلك عنه، ولم يمكنني تنبيهه على ذلك لزعارة في خلقه" ، ويبدو أن تسرب الخطأ إلى عروض الشعر أضحى شائعا في أشعار متأخري شعراء الأندلس، إذ أشار ابن الأبار في معرض نقده : "أفسد في صدر البيت الثاني والثالث من حيث الوزن، وقد وقع فيه جمهور الشعراء".

ومن هذا المنظور راحوا يتعقبون الأشعار المشرقية والأندلسية، مظهرين ما اعتراها من أخطاء طالت الوزن، من ذلك ما أنشده ألو علي القالي لرؤية بن الحجاج (145هـ) من رجز يقول فيه :

وطامح النخوة مستكت طأطأ من شيطانه التعتي

إذ قام أبو عبيد البكري بتخطئة هذه الرواية مقترحا رواية بديلة تزيل ما علق بالشطر الثاني من اختلاف فقال :

"هكذا أنشده، ولا يستقيم ذلك ولا يصح وإنما صحة إنشاده :

[1] أمين فوزي، **دراسات في الشعر الأندلسي**، دار الفكر، ص 105.

طأطأ من شيطانه المعتى"[1]

وقد نبه الأعلم الشنتمري علي ما اعترى بعض أبيات حماسة أبي تمام من خلل عروضي ، إذ علق على بيت لا مرأة من بني مخزوم، تقول:

إن تسألني فامجد غير البديع قد حل في تيم وفي مخزوم

قائلا " والبيت خارج من الوزن لتحريك العين في "البديع" وراح يقلب الوجوه الإيقاعية المتنوعة، فقال : "فإن وفق عليه وسكن، وجعل كالبيت المصرع مما قافيته مبنية على الوقف قام وزنه، والبيت غير مبني على ذلك، فمثل هذا لا ينبغي أن يجوز"

وقد نبه العلماء الأندلسيون أيضا على ما أصاب القافية من عيوب، وراحوا يزيلون هذه العيوب متكئين على وسائل متعدد، من بينها رد الأبيات المفردة إلى قصائدها التي تنتمي إليها، وتجلى هذا الموقف فيما قام به البكري أمام رواية القالي لبيت الأبيرد اليربوعي الذي يقول فيه : (من الطويل)[2]

فتى لا يعد الرسل يقضي مدمة إذا نزل الأضياف أو ينحر الجزرا

فقال : "هذا سهو منه وإنما هو : أو تنحر الجزر" مستندا موقفه هذا على أن قافية أبيات القصيدة التي ينتمي إليها البيت السابق مرفوعة وقبله :

فتى إن هو استغنى تخرف في الغنى وإذ قل مالا لم يؤد متنه الفقر

وقد استندوا أيضا على توجيه المعنى توجيها يدعم تغيير القافية تغييرا يزيل ما اعتراها من عيب، مثال ذلك ما أجراه البكري من تغيير لرواية بيت للبعيث يقول فيه (من الطويل) :

علي حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانصب النجوم الخواضع

إذ رواه بصورة مغايرة، فأعاد للمعنى انساقه، وأزال ما علق بالقافية من عيب (الإيطاء).[3]

وقد أشاروا أيضا إلى ما أصاب القافية من عيوب تجسدت في السناد والإطاء ... وقد زادوا فيها زيادات لا عهد لعروضي المشرق بها، من هذه العيوب عيب أطلق أبو البقاء الرندي

[1] أمين فوزي، المرجع نفسه، ص 106.
[2] أمين فوزي، المرجع نفسه، ص 108.
[3] أمين فوزي، المرجع نفسه، ص 109.

(684هـ) عليه مصطلح "الاستدعاء" ويتمثل في اختلاف القافية، فتكون فضلة لا معنى لها، واستشهد ببيت أبي الطيب المتنبي الذي يقول فيه (من الطويل) :

ولو كنت أدري كم حياتي قسمتها وصيرت ثلثيها حياتك فاعلم

أما المصطلح الثاني فهو (التجميع)، وقد أورده ابن الأحمر في معرض نقده أبياتا لابن الفخار (ت666هـ) يقول منها (من الخفيف) :

شهرة المشرقي فوق المنار عزة للورى ودين النبي

إذ قال : "إن قوله : فوق المنار، فيه عيب ... يسمى التجميع، لأن سامعه أولا يقدر قافية البيت مثل قافية المصراع، فيجيدها على خلافه"

كما كان لإنقيادهم لسلطان الوزن والقافية أثر كبير فيما وقعوا فيع من عيوب، إذ ألجأتهم القافية إلى الزيادة في حروفها، أو استخدام مفردات غير متلازمة، مثال ذلك ما رصده ابن الأبار من انقياد إلى القافية دفع الأمير عبد الله بم محمد إلى ضرب من الإيهام، عند ما قال (من الطويل) " :[1]

موالي قريش من قريش فقدموا موالي قريش لا موالي معتب

إذ حول اسم مغيث إلى معتب أغامضا وانقيادا للقافية":

كما ألجأهم الحرص على اتساع إيقاع البيت إلى زيادة ألفاظ لايحتاجها معناه، وقد رصد الأعلم الشنتمري نماذج شعرية لكل من أبي داؤد الإباري (ت79ق هـ) وزهير بن أبي سلمى(ت23 ق هـ) والمتنبي (354هـ) وآخرين أصابها الحشو، ففي تضاعيف تعليقه على قول المتنبي : (من الكامل):

بنتم عن العين القريحة فيكم وسكنتم وطن الفؤاد والواله

قال :" إلا أن صنعة البيت وحفظ إعراب القافية سبب ذكر الوطن"

---

[1] أمين فوزي، المرجع نفسه، ص 110.

ومن مثل ذلك أيضا قول أبي العلاء المعري: (من الطويل) :[1]

ومن يقف عن ذنب ويسنح بنائل فخالقنا أعفى وراحته أسخى

إذ اضطر الشعر إلى أن يضع (الراحة) موضع (اليد)، ولا يجوز أن يقلل :

إن كانت بمعنى اليد، لأن الشرع قد منع أن يوصف إلا بما وصف به نفسه".

[1] أمين فوزي، المرجع نفسه، ص 111.

الفصل الثالث

ابن زيدون أنموذجا

مقدمة

المبحث الأول : صورة عصره

المطلب الأول : الحياة السياسية

المطلب الثاني : الحياة الاجتماعية

المطلب الثالث : الحياة الثقافية والأدبية

المبحث الثاني : التعريف به

المطلب الأول : إسمه، كنيته، لقبه

المطلب الثاني : مولده ووفاته

المطلب الثالث : دراسة أعماله (ديوانه الشعري)

المبحث الثالث : تحليل قصيدة "أضحى التنائي"

المطلب الأول : دراسة أدبية

المطلب الثاني : دراسة فنية

المطلب الثالث : خصائص شعره

خاتمة

اشتهر ابن زيدون بعدد من المواهب الشخصية والأدبية ويعد مثالا لتكامل لهذه المواهب الخصال في نتاجه الأدبي من جهة، وفي حياته العملية من جهة ثانية، ما جعلنا نعده نموذجا في دراستنا هذه.

المبحث الأول : صورة عصره

المطلب الأول : الحياة السياسية

"شهد العصر الذي عاش فيه ابن زيدون تحولا في الحياة السياسية، تمثل في انتقال الحكم من أيدي الأمويين إلى ملوك الطوائف، وهم الذين استقل كل منهم بمدينة أو بإقليم من الأقاليم الأندلسية، وأعلن فيها دولته، ومن أشهر هذه الدول :

- الدولة الزيرية في غرناطة من سنة 403هـ، إلى سنة 483هـ(1011-1089م)
- والدولة الحمودية في قرطبة ومالقة، من سنة 407هـ إلى 450هـ (1015-1057م)
- والدولة الهودية في سرقسطة، من سنة 410هـ إلى 536هـ (1018-1140م)
- والدولة العامرية في بلنسية، من سنة 412هـ إلى 478هـ (1020-1085م)
- والدولة العبادية في إشبيلية من سنة414هإلى 484هـ (1022-1091م)
- ودولة بني الأفطس في بطليوس، من سنة 421هـ إلى 461هـ (1029-1094م)
- الدولة الجهورية في قرطبة، من سنة 423هـ إلى 461هـ (1031-1069م)
- ودولة ذي النون في طليطلة من ينة 427هإلى 487هـ (1035-1094م).

أما ابن زيدون فقد عاصر كل من الدولة الجهورية، عاش كنها، ونشير إلى أن "بنو جهور" هم أسرة عربية، تولوا حكم قرطبة، أسس دولتهم "جهور بن محمد" (ق 435هـ/1043م).[1]

[1] . عباس ابراهيم، **شرح ديوان ابن زيدون**، دار الفكر العربي، طبعة 1،ص05.

أما "بنو عباد" فهم أيضا أسرة عربية، أسس دولتهم "أبو القاسم محمد بن عباد"، القاضي بأشبيلية، وولده "عباد" الملقب المعتضد، وهم من حارب البربر، وسيطر على ملوك الطوائف الآخرين ...

هذا فيما يتعلق بالحقبة الثانية من حياة ابن زيدون، أما المرحلة الأولى، فتبدأ بولادته سنة 394هـ/1003م، وتنتهي بإعلان قيام دولة بني جهور سنة 422هـ/1031م وهي المدة التي كان الحكم فيها خاضعا لسلطة الأمويين اسما وشكلا، أما الحكم الفعلي فكان في قبضة المنصور بن أبي عامر محمد، ثم خلفه ولده المظفر، وبعده عبد الرحمن ولده الآخر الملقب ب"شنجول".

"لقد عاش ابن زيدون حياته في ظل الخليفة الأموي هشام الثاني، المؤيدين الحكم، وكان عمره لما توفي أبوه المستنصر بن عبد الرحمن احد عشر عاما، فاختلف الناس بعد وفاة أبيه، فمال بعضهم إلى توليه هشام، ومال آخرون إلى إقصائه من الحكم، لكن الذي غلب هو توليه هشام بالاسم ليس إلا، إذا كانت مقاليد السلطة الفعلية بيد الحاجب المنصور في أبي عامر العامري، ثم بيد ولديه الآخرين المظفر وعبد الرحمن"[1]

من خلال ما سبق نلاحظ أن شاعرنا ابن زيدون قد عاصر حياة سياسية، مليئة بالصراعات والتوترات والفتن والانقلابات، وأبرزها انتقال الحكم من الأمويين إلى ملوك الطوائف، خاصة ما عاشه في ظل حكم ملوك الطوائف :حيث الصراع والتكالب على السلطة والتنافس الشديد بين الدول، وبين العرب وغير العرب، والمسلمين وغير المسلمين، والبرابرة والصقالبة، والمولدين وغير المولدين ..

وتجدر الإشارة إلى أن لبن زيدون قد شارك في الكثير من الصراعات السياسية خلال ذلك العصر، حتى انه شارك في الثورة على الأمويين، وآزر بني جهور، وثم بني عباد وبعدها.

[1] . عباس ابراهيم، المرجع نفسه، ص06.

المطلب الثاني : الحياة الاجتماعية

"ضمت الجماعات التي كانت تؤلف المجتمع الأندلسي، والذي كان ابن زيدون واحدا من عديدة، عناصر متباينة، وأجناسا مختلفة عبثا حاول الحكم صهرها في بوتقة واحدة، وإن من هذه الأجناس أو الجماعات، العرب : وهم المسلمون الذين وفدوا إلى بلاد الأندلس مع موسى بن نصير، ومع حملات الجند المتعاقبة التي جاءت من المشرق العربي، وسرعان ما تكاثر عددهم، وكانوا هم الحكام، وأصحاب الامتيازات في السياسة والاجتماع والاقتصاد والمال، وثمة الصقالبة، وهم المتحدون من أصل غير اسباني، من الطليان والجرمان والفرنسيين، وسكان شواطئ وجزر البحر المتوسط، وقد لعبوا دورا مميزا في الحياة الاجتماعية والسياسية، وتقلدوا المناصب الرفيعة في الدولة، والجيش.

وعمل كثيرون منهم على تدبير المؤامرات تماما كما عمل الترك وغير الترك في سياسة الدولة العباسية بالمشرق العربي، وثمة البربر وهم الذين دخلوا من الفاتحين العرب، من شمال إفريقية، وتكاثر عددهم حتى باتوا يمتلكون الأكثرية من المسلمين، وقد اعتمد عليهم أكثر من حاكم لمناوأة الخصوم والأعداء"[1]

المطلب الثالث : الحياة الثقافية

كانت الحياة الثقافية والأدبية زمن ابن زيدون، مزدهرة أيما ازدهار، حيث انتشرت المساجد والجوامع، يتلقى فيها طالبوا العلم مختلف العلوم والآداب والفنون والدين، حتى أن قرطبة أصبحت تنافس بغداد، ومدينة للعلم والشعر، "هذا ما دفع 'دوزي' احد الذين أرخوا لحكم العرب في الأندلس إلى القول أن إسبانيا المسلمة، كانت كلها تقرأ وتكتب، حين لم يكن في أوربا سوى رجال الدين، والقليل من الخاصة يقرؤون ويكتبون".[2]

كل هذه الظروف كان لها الأثر الواضح في العديد من العلماء الفلاسفة، والفقهاء، والكتاب، والأدباء حتى الشعراء، منهم الشاعر ابن زيدون.

[1] . عباس ابراهيم، المرجع السابق، ص07-08.
[2] . عباس ابراهيم، المرجع السابق، ص08.

"كانت ثقافة ابن زيدون واسعة، ومعرفته كبيرة علمه أبوه (ت405هـ)، وكفله جده لأمه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي (ت432هـ) فأخذه عنه، وأفاده شيوخ منهم أبو القباس أحمد بن عبد الله بن ذكران (ت413هـ)، وأبو بكر مسلم بن زيدون الخاصة في مكتبات الأسرة، وفي مصادر العلم والمعرفة الغزيرة في مدينة قرطبة العريقة، وإلى دروس العلم التي كانت تلقى فيها من الدروس وضروب التعليم، إذا كان يختلف كغيره من شباب عصره، إلى العلماء والأدباء هناك فينهل من معارفهم، وثقافتهم، ويأخذ من آدابهم وعلومهم ما يحتفل به لسانه، ويشحذ فكره"[1]

[1] . محمد رضوان الداية : **في الأدب الأندلسي**، دار الغربي، الطبعة 1996،01 ،ص313،ص314.

المبحث الثاني : التعريف به

المطلب الأول : اسمه، كنيته، لقبه

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون، كنيته أبو الوليد: أبوه من فقهاء مدينة قرطبة المعدودين في زمانه ومن ذوي النفوذ لدى الدولة الأموية، "تنتمي أسرته إلى بني مخزوم، وهم بطن من قريش، كان لمع فيهم من قبل بالحجاز شاعر الغزل، بل زعيم الغزل في عصره عمر بن أبي ربيعة، وأسرته هذه كانت وفدت إلى بلاد الأندلس مع وفد من العرب الأوائل إبان عصر الولاة، فنزلت قريبا من قرطبة، وسرعان ما نمت أعدادهم حتى كان لهم في الحياة السياسية والاجتماعية شأن خطير"[1]

المطلب الثاني : مولده، دراسته وفاته

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة سنة (394هـ/1003 م)، التي كانت إحدى أشهر مراكز الحضارة والثقافة الإسلامية، ونشأ فيها الشاعر ودرس، حيث أخذ الكثير من العلوم عن أكابر ووجهات علمائها، كاللغة، والأدب، والشعر، والتاريخ والسير، حيث أخذ الفقه عن أبيه الذي كان قاضيا، ولما مات هذا الأخير كان عمر ابن زيدون أحد عشر عاما، فتولى رعايته جده لأمه، وكان قاضيا أيضا، حيث زوده بالكثير من المعارف والعلوم.

قامت ثورة في أشبيلية، كان لابن زيدون فيها مهمة تمثلت في تهدئة الأمور، المكانة التي حظي بها في قلوب أهلها، لكن الحمى الشديدة أصابته، ولم تفارقه حتى وافته المنية سنة 463هـ /1070م.و دفن بأشبيلية، وحزنت عليه قرطبة.

المطلب الثالث : أعماله وآثاره

عمل ابن زيدون وزيرا، فقد استوزره أبو الحزم بن جهور، حيث لقب بذي الوزارتين، لأنه جمع إلى الوزارة الكتابة، كان ذلك وهو لم يبلغ الثلاثين بعد.

[1] . محمد رضوان الداية ، المرجع نفسه ص10.

ومن أبرز آثاره ديوانه الشعري "عالج فيه مختلف الموضوعات والأغراض، وفي طليعتها الغزل، ووصف الطبيعة، والشكوى والحنين، والعتاب، والمدح، والرثاء، وقد جمع في حياته، وعكف الدارسون بعد وفاته على دراسته، ومن الذين انكبوا على دراسة ديوانه وشرحه كل من "هيرت" « HIRT » الذي عفي بنشر منتجات من ذلك الديوان، و"أوغست كور" « A.Court » الذي خصص دراسة مستقلة للشاعر من خلال ديوانه، وقام بنشر عدد من قصائده في قسنطينة وباريس سنة 1910"[1].

وقد توالت الجهود في طباعة هذا الديوان في المشرق العربي، وأول طبعة صدرت في القاهرة عام 1932

وقد استمر الباحثون والمهتمون في دراسة شعر ابن زيدون، وشرح ديوانه، من بينهم كرم البستاني.

ومن أبرز آثاره أيضا الرسائل النثرية الثلاث : الرسالة الهزلية، الرسالة الجديّة، والرسالة الحكمية، فقد تعدى اهتمام الدارسين من الاهتمام بشعر ابن زيدون إلى طباعة هذه الرسائل وتحقيقها، ونذكر على سبيل المثال : تحقيق كل من محمد كامل الكيلاني، وعبد الرحمن خليفة.

أهم أغراض الديوان :

أ. **الغزل والنسيب** : يشكل هذا الفن نحو ثلث شعر ابن زيدون، وهو في تقدير د. عمر فروخ وأجملها وأصدقها تعبيرا عن نفسه وألصقها بأحداث حياته :

يقول ابن زيدون في قصيدته "وجهك شافعي"[2]

يا غزالا ! أصارني موثقا، في يد المحن

[1] . عباس إبراهيم :**شرح ديوان ابن** زيدون، دار الفكر العربي، الطبعة 01، 1996 ص13.

[2] . يوسف فرحات **ديوان ابن زيدون**، دار الكتاب العربي، الطبعة01 .2004، ص306.

إنني مذ هجرتني	لم أذق لذة الونس[1]
ليت حظي إشارة	منك، أو لحظة عنن[2]
شافعي، يا معذبي،	فأنا اليوم مرتهن[3]
كان سري مكتما،	وهو الآن قد علن
ليس لي عنك مذهب،	فكما شئت لي فكن

المعنى : ليت حظي يكون إشارة منك أو لحظة سريعة، أيتها الحبيبة التي لم أذق بسببها نوما هنيا مذ هجرتني، وإن شفيعي في الحب، يا معذبتي هو وجهك الجميل.

وتشير كتب الأدب والتراجم الأندلسية القديمة مثل :

(قلائد العقبان) و(الذخيرة)، و(المغرب)، إلى أن قسما كبيرا من غزل ابن زيدون كان في ولادة، حيث يذكر اسمها صراحة أو يشار إليها فيه بإشارة.

ومن خلال الدراسة الموضوعية والأسلوبية لشعره، تبين أن ولادة كانت موجودة في شعر الصبار والشباب بكثرة.

يقول شاعرنا في قصيدته "أفدي الحبيب" :

كيف اصطباري وفي كانون فارقني	قلبي، وها نحن في أعقاب تشرين؟
شخص، يذكرني فاه وغرته،	شمس النهار، وأنفاس الرياحين
لئن عطشت إلى ذلك الرضاب[4]لكم	قد بات منه يسقني، فيرويني !

في حين ظن بعض الباحثين أن ولادة لم تحض إلا بالقسط اليسر من شعر ابن زيدون، أمثال : د. محمد صبح.

كما يقسم د. شوقي ضيف شعر الغزل عند ابن زيدون إلى ثلاثة أقسام :

1. ما قيل في المرحلة الأولى من اللقاء والقبول.
2. ما قيل في المرحلة الثانية من القطيعة.

---

[1] . النوم الهني.
[2] . قليلة .
[3] . تابع .
[4] . المرجع نفسه، ص307-308.

3. ما قيل في المرحلة الثالثة من اليأس أو ما سماه : دور الذكرى، ويكون هذا الدور في مقدمات مدائحية.

ب.المدح : يعد المدح الغرض الثاني من الأغراض التي تناولها ابن زيدون، ليس بقصد التكسب أو التقرب إلى الأمراء. أو تثبيتا لمكانته السياسية. أو اعتذارا ممزوجا بالمديح، وفي قصيدة له في مدح أبي الحزم بن جهور :

عتباك بعد العتب أمنية مالي على الدهر سواها اقتراح !

وقوله في قصيدة أخرى :

فاشفع أكن مثل مطمور لبلدية جذلان بالوطن المألوف والوطر !

حيث نلاحظ أن شاعرنا لم يمدح أبا الحزم وابنه أبا الوليد فحسب، بل مدح المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية، وابنه المعتمد، ومدح المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس.

قال مادحا المعتضد بالله ويهنئه بقرانه في قصيدة "هذي الليالي بالأماني سمحة"[1] :

هذه الليالي بالأماني يسمعه، فمتى تقل : هاتي ! تقل لك : هاكا
فأعقل شواردها، إزاء عقيلة،[2] وافت مبشرة بنيل مناكا

ج. **الاستعطاف** : لجأ شاعرنا إلى هذا العرض، حين سجن في ظل دولة أبي جهور، وقد توسل ابن زيدون مخاطبا الوزير أبا حفص بن برد، في محاولة منه للخروج من المحنة :

حيث قال في قصيدته : "يخرج الدهر ويأسو"[3] :

---

1. يوسف فرحات ، المرجع نفسه، ص215.
2. الزوجة
3. يوسف فرحات ، المرجع نفسه ص138.

يا أبا حفص، وما ساواك،	في فهم، إياس
من سنا رأيك لي، في	غسق الخطب، اقتباس
ووادي لك نص،	لم يخالفه قياس
أنا حيران، وللأمر	وضوح والتباس
ما ترى في معشر حالوا	عن العهد، وخاسوا

المبحث الثالث :

قصيدة "أضحى التنائي"[1] للتعليل :

01	أضحى التنائي بديلا من تدانينا،	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
02	ألا قد حان صبح البين، صبحنا	حين، فقام بنا للعين ناعينا
03	من مبلغ الملبسينا[2]،بانتزاحهم،	حزنا، مع الدهر لا يبلي ويبلينا
04	أن الزمان الذي مازال يضحكنا،	أنسا بقربهم، قد عاد يبكينا
05	غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نغص، فقال الدهر آمينا
06	فانحل ما كان معقودا بأنفسنا،	وانبت ما كان موصلا بأيدينا
07	وقد نكون، وما يخشى تفرقنا،	فاليوم نحن، وما يرجى تلاقينا
08	يا ليت شعري، ولم نعتب[3] أعاديكم،	هل مال حظا من العتبى أعادينا
09	لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم	رأيا، ولم نتقلد غيره دينا
10	ما حقنا أن تقروا عين ذي حسد	بنا، ولا أن تسروا كاشحا فينا
11	كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه،	وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
12	بنتم بنا فما ابتلت جوانحنا	شوقا إليكم، ولا جفت مآقينا
13	نكاد، حين تناجيكم ضمائرنا،	يقضي علينا الأسى لو تأسينا
14	حالت لفقدكم أيامنا، فغدت	سودا، وكانت بكم بيضا ليالينا
15	إذا جانب العيش طلق من تألفنا	ومرجع اللهو صاف من تضافينا
16	وإذ هصرنا[4]فنون الوصل دانية	قطافها، فجنينا منه ماشينا
17	ليسق عهدكم عهد السرور فما	كنتم لأرواحنا إلا ريا حينا
18	لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا،	إذ طالما غير النأي المحبينا
19	والله ما طلبت أهواؤنا بدلا	منكم، ولا انصرفت عنكم أمانينا
20	يا ساري[5]البرق غاد القصر واسق به	من كان صرف الهوى والود يسقينا
21	واسأل هنالك : هل عنى[6] تذكرنا	إلفا، تذكره أمسى يعنينا؟

[1]. أحمد فاضل، **ديوان ابن زيدون**، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولـ2004،ص180-183.

[2]. المغطين والساترين.

[3]. نرضي.

[4]. جذبنا.

[5]. السحاب.

[6].اهتم.

22	ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا	من لو على البعد حيا كان يحيينا
23	فهل أرى الدهر يقضينا مساعفة	منه، وإن لم يكن غبا تقاضينا
24	ربيب ملك، كأن الله أنشأه	مسكا، وقدر إنشاء الورى طينا
25	أوضاعه ورقا معضا، وتوجه	من ناصع التبر إبداعا وتحسينا
26	إذا تأود آدته، رفاهية،	توم العقود، وأدمته البرى لينا
27	كانت أثبتت، في صحن وجنته،	بل ما تجلى لها إلا أحايينا
28	كأنما أثبت، في صحن وجنته،	زهر الكواكب تعويذا وترتيبا
29	ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفا،	وفي المودة كاف من تكافينا؟
30	يا روضة طالما أجنت لواحظنا	وردا، جلاه الصبا غصا[1]، ونسرينا[2]
31	ويا حياة تملينا، بزهرتها،	منى ضروبا، ولذات أفانينا
32	ويا نعيما خطرنا، من غضارته،	في وشي نعمى، سحبنا ذيله حينا
33	لسنا نسميك إجلالا وتكرمه،	وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
34	إذا انفردت وما شوركت في صفة	فحسبنا الوصف إيضاحا وتبيينا
35	يا جنة الخلد أبدلنا بسدرتها	والكوثر العذب، زقوما وغسلينا
36	كأننا لم نبت، والوصل ثالثنا	والسعد قد غض من أجفان واشينا[3]
37	إن كان قد عز في الدنيا اللقاء بكم	في موقف الحشر نلقاكم وتلقونا
38	ستران في خاطر الظلماء يكتمنا،	حتى يكاد لسان الصبح يفشيها
39	لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت	عنه النهى، وتركنا الصبر ناسينا
40	إنا قرأنا الأسى، يوم النوى، سورا	مكتوبة، وأخذنا الصبر تلقينا
41	أما هواك، فلم نعدل بمنهله	شربا وإن كان يروينا فيظمينا
42	لم نجف أفق جمال أنت كوكبه	سالين عنه، ولم نهجره قالينا
43	ولا اختيار تجنبناه عن كثب،	لكن عدتنا، على كره، عوادينا
44	نأسى عليك إذا حثت، مشعشعة،	فينا الشمول، وغناها مغنيا
45	لا كؤوس الراح[1] تبدي من شمائلها	سيما ارتياح[2]، ولا الأوتار تلهينا

[1]. نصرا.
[2]. زهر أبيض.
[3]. النمام والحسود.

46	دومي على العهد، ما دمنا، محافظة،	فالحر من دان إنصافا كما دينا
47	فما استعضنا خليلا منك يحسبنا	ولا استفدنا حبيبا عنك يثنينا[3]
48	ولو صبا نحونا من علو مطلعه،	بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
49	أولي وفاء، وإن لم تبذلي صلة،	فالطيف يقنعنا، والذكر يكفينا
50	وفي الجواب متاع، أن شفعت به	بيض الأيادي، التي مازلت تولينا
51	عليك منا سلام الله ما بقيت	صبابة[4] بك نخفيها، فتخفينا

دراسة القصيدة :

أفكارها الأساسية :

1. الخمرة .
2. علامات ارتياح.
3. يغبرنا
4. الشوق .

الفكرة الأولى :

من البيت 01 إلى البيت 04 :تحسر الشاعر بسبب البعاد الذي حل مكان اللقاء الطيب الذي كان يجمعه بمحبوبته.

الفكرة الثانية :

من البيت 05 إلى البيت 08 : رضا الأعداء المغتاظين من ذلك الحب الذي كان بينه وبين ولادة، لأن الدهر استجاب لدعواتهم.

الفكرة الثالثة :

من البيت 09 إلى البيت 11 : يؤكد الشاعر على الوفاء لمحبوبته رغم البعاد الذي أصابهما، ومعاتبا إياها لأنها مكنت لفرحة الوشاة من افتراقهما.

الفكرة الرابعة :

من البيت 12 إلى البيت 17 : يصف الشاعر الحال الذي آل إليه بعد هجر الحبيب، متذكرا الأيام الخوالي أي أيام الوصال.

الفكرة الخامسة :

من البيت 18 إلى البيت 23 :يعود الشاعر ليؤكد لولادة حبه ووفاءه لها رغم النأي والفراق، متسائلا عما كانت تذكره، متمنيا من الدهر عودة الوصال.

الفكرة السادسة :

من البيت 24 إلى البيت 35 : يمدح الشاعر محبوبته، ويتودد إليها.

الفكرة السابعة :

البيت 36 : تأسف الشاعر لما أل الحب الذي جمعه ومحبوبته.

الفكرة الثامنة :

البيت 37 : أمل الشاعر في اللقاء.

الفكرة التاسعة :

لا يزال الشاعر يتذكر، ويحن إلى الماضي السعيد الذي لا طالما غبطه من اجله الأعداء.

الفكرة العاشرة :

من البيت 39 إلى البيت 40 : سلوى الشاعر أي التمسك بالصبر.

الفكرة الحادية عشر :

من البيت 41 إلى البيت 45 : استسلام الشاعر للقضاء والقدر مع التأكد على الوفاء والإخلاص.

الفكرة الثانية عشر :

البيت 51 : يطلب الشاعر من محبوبته البقاء على العهد كما يفعل أملا منها أن تجيبه، وأن ترد عليه، مقرئا إياها السلام الدائم، دوام الشوق إليها.

الفكرة العامة :

استعطاف وتودد الشاعر لمحبوبته، طالبا منها البقاء على العهد.

المطلب الأول : الدراسة الأدبية

أرسل ابن زيدون هذه القصيدة إلى ولادة بنت المستكفي، التي كان يعشقها، يسألها فيها أن تدوم على عهده، ويتحسر على أيامها الماضية.

النص من الشعر الغنائي الوجداني الذي يعبر فيه الشاعر عن أحاسيسه الذاتية، والذي من أحد فنونه أو أغراضه فن الغزل العفيف، الصادق، حيث تتجلى فيه عاطفة الشاعر، وهي عاطفة تتأرجح بين الشكوى والعتاب والألم، والذكرى والحنين والرجاء، حيث يبدو في نصه الذي بين أيدينا ناقما على الوشاة، حاقدا على الدهر.

والغزل موضوع قديم، طهر في قصائد العصور التي سبقت عصر الشاعر، كغزل عنترة العبسي في ابنة عمه عبلة ...

أفكار الشاعر كما لاحظنا واضحة، قد سلمت من كل غموض وتعقيد، بسيطة لا تعتمد على التحليل، إذ استهل الشاعر قصيدته بإبداء تحسره الذي سببه البعاد والقطيعة التي حلت محل اللقاء الطيب الذي كان يجمعه بمحبوبته، ثم وصف الأعداء بالمغتاظين من حبها، ورضاهم، لأن الدهر قد استجاب لأمانيهم، مؤكدا على وفاءه لها رغم البعاد الذي أصابهما، معاتبا إياها لأنها مكنت لفرحة الوشاة بافتراقهما.

ثم ينتقل لوصف الحال المزري الذي آل إليه بعد هجر الحبيب، متذكرا الماضي السعيد، ويعود ليؤكد وبإصرار وفائه، رغم النأي، والفراق متسائلا عن تذكرها له، متمنيا عودة اللقاء.

كما أنه يمدحها، ويتودد إليها، ويذكر جمالها وخصالها، ويتأسى أيضا على ما كان بينهما، آملا عودة المياه إلى مجاريها، مبينا حنينه إلى الماضي –بين الحين والآخر–متمسكا بالصبر سلوان الوحيد، مستسلما للقضاء والقدر.

ليخلص في الأخير إلى أن يطلب من محبوبته الإخلاص والبقاء على العهد، آملا منها الرد.

أفكار النص غير مترابطة، إذ يمكن تقديم وتأخير فكرة على فكرة أخرى، وإنما يعود هذا إلى اضطراب عاطفة الشاعر بين :الحنين إلى الماضي، والاستعطاف، والعتاب اللطيف، ممزوجين بالغزل ...

وبالرغم من جلالها، فهي خالية من التجديد، إذ تناولها شعراء سابقون، وقد استقاها من الواقع أو بالأحرى من التجربة التي عاشها :حبه لولادة، ثم الافتراق عنها.

تظهر في النص إحدى أبرز خصائص ابن زيدون وتلك هي خاصية المبالغة، التي يهدف من خلالها : التأثير في السامع وتحريك عواطفه.

المطلب الثاني : الدراسة الفنية :

الأسلوب : **اللغة** : لغة الشاعر سهلة الألفاظ، موحية، تعبر عن الأسى، والحسرة وألم الفراق، وشدة الشوق نحو: التنائي، الحزن، يبكينا، تفرقنا، فقدكم، شوق، ...

كما استخدم ألفاظا استقاها من الطبيعة مثل : نسيم الصبا، الشمس كواكبا، وردا، بزهرتها،البرق، ...، وهي لغة مألوفة ومتداولة.

أما العبارات فهي متبينة، جيدة السبك،واضحة المعنى، وفيها انسياب وجمال، لذيذة التذوق في إنشاءها، تميل إلى القصر لتناسب سرعة التدفق العاطفي لدى الشاعر.

ونلاحظ أيضا أنها جاءت قصيرة، ملائمة للتعبير عما يختلج في نفس شاعرنا، من : حزن، وشوق، وأسى، مثل : وقد يئسنا فما لليأس يعزينا .../ يقضي علينا الأسى ...

البلاغة :

1. **المعاني** :تراوح أسلوب النص بين الخبر والإنشاء، أما الخبري فنجده في البيت الأول :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

غرضه : إبداء الحسرة والأسى.

ونلاحظ أيضا في البيت الخامس :

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص، فقال الدهر آمينا

حيث يؤدي نفس الغرض مع البيت الأول : الحزن والتحسر

حتى في البيت الرابع عشر الذي يقول فيه :

حالت لفقدكم أيامنا، فغدت سودا، وكانت بكم بيضا ليالينا

الإنشائي فنجده في البيت الثامن عشر : نفي غرضه إبداء الوفاء، والبيت الثلاثون : نداء، غرضه المدح.

اعتمد الشاعر على الأسلوب الخبري لهدوء عاطفته، واعتماده على الأسلوب الإنشائي راجع لإلى الانفعال.

2. **البيان** : تزخر القصيدة بصورها الفنية البيانية، وذلك دليل على حدة عاطفة الشاعر وانفعاله وبموضوعه، وفي مقدمتها : التشبيه :

كأنما أثبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعويذا وتزيينا

والتشبيه البليغ، في قوله: "يا روضة"، حيث شبه الحبيب بالأرض المخضرة، والاستعارة في قوله "أجنت لواحظنا"، حيث شبه الأنظار بالإنسان الذي يقطف أزهارا، فحذف المشبه به "الإنسان" وأبقى على ما يدل عليه "أجنت" على سبيل الاستعارة المكنية.

والاستعارة المكنية نجدها أيضا في قوله "فقال الدهر آمينا"، وأبقى على لازمة من لوازمه ألا وهي "قال".

والكناية في قوله "فانحل ما كان معقودا بأنفسنا" :كناية عن الحب الذي جمعهما.

3. **البديع** :حفلت القصيدة بكل من الطباق والمقابلة، لأنه كاف في معرض المقارنة بين عهدين : عهد الوصال، وعهد الفراق، مثال ذلك :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

← مقابلة، وفي قوله في البيت الذي بعده أيضا مقابلة :

حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا، وكانت بكم بيضا ليالينا

والطباق في : تفرقنا ≠ تلاقينا، يروينا ≠ يظمينا .

يضحكنا ≠ يبكينا

والتصريع في البيت الأول :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

(تدانينا وتجافينا) = تصريع.

استعمل الشاعر كلا من المحسنات البديعية والصور البيانية بغرض تقوية المعنى وإبرازه من جهة، وجمال الأسلوب من جهة أخرى.

الموسيقى :

أ. **الموسيقى الداخلية** : أحسن الشاعر اختيار ألفاظه، بحيث انسجمت في تجاورها، مولدة نغما حزينا، خفيا، بحيث نشعر بوحدة الإيقاع في جميع أنحاء القصيدة، ونحن نشعر بروعتها وشعرها في هذا النص.

والملاحظ في هذه القصيدة كثرة حرف النون، الذي يدل على الجماعة وهو الحرف الذي بنيت عليه القصيدة، وكذلك حرف المد (الألف)، لأن حروف المد مناسبة للتعبير عن الحزن والألم مثل : تجافينا، تفرقنا، ...

ومما لاحظناه أيضا حسن التقسيم أي التساوي بين عدد الكلمات مثل قوله:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ب. الموسيقى الخارجية :

لقد اختار الشاعر لموسيقاه الخارجية بحر البسيط :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا

أضحتتنا	ئي بدي	لن من تدا	نينا وناب عن	طيب لق	يانا تجا	فينا
0110101	01101	0110101	0110110101	01101	0110101	0101
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن

لاحظنا أن القافية نفسها في باقي الأبيات وهي :

فينا، عينا، لينا، كينا، ...

المطلب الثالث :

خصائص شعره :

توكأ واعتمد على معاني الأقدمين من شعراء المشارق إذ :

- يستهل قصائده بالغزل
- الإعراب في بعض المعاني والألفاظ.

. يمثل شعره : شعر العاطفة، والخيال، والوجدان

. مزج بين الرقة والسلامة، والجزالة

. لقب ببحتري العرب لسببين : الأول هو طول النفس، إذ جاءت أكثر منها، وخير دليل قصيدته "أضحى التنائي" التي قمنا بدراستها فهي غنية بالصور البيانية والمحسنات البديعية.

هذا فيما يخص خصائص شعره بصفة عامة، أما خصائص شعر الغزل فتتمثل في :

إذا نظرنا إلى القصيدة الغزلية عنده لم يتخذ شكلا واحدا، لم تكن قصيدة على وتيرة معينة، من حيث طولها، وقصرها، وعدد أبياتها، والبحور التي استخدمها، حيث لا نجد تناسقا في أشكال القصائد من طول أو قصر، فهناك مقطوعات صغيرة قصيرة، التي يعبر فيها الشاعر عن لحظة انفعالية معينة، دون أن يكون ذلك ساحة لعرض أفكار كثيرة أو جوانب متشابكة، فموقف ما من المواقف أو إحساس من الإحساسات، يرصده الشاعر فيعبر عنه بسرعة، ويكتفي بما صنع، هذه الظاهرة طغت على القصائد في المرحلة الأولى، إذ لا نظفر بقصيدة كاملة في هذه المرحلة كلها.

أما شعره الذي تردد فيه بين الأمل واليأس، كان يحاول به إرضاء ولادة، ونجد أيضا القصائد والمقطوعات الخاصة بالغزل أي التي ينفرد بموضوع واحد.

ونلاحظ أيضا أنه يحافظ على ظل قوي للمقدمات الغزلية المألوفة لكنه كان يصوغها بشكل خاص، ويتحدث فيها عن حب حقيقي، وتجربة ذاتية واضحة.

وفي الأخير نستنتج أن إنتاج ابن زيدون الشعري هو الذي جعله في طليعة الأندلسيين، ومن كبار شعراء العربية.

الخاتمة

الخاتمة

الشعر في الأندلس امتداد للشعر العربي القديم، فقد كان الأندلسيون متعلقين بالمشرق، متأثرين بكل جديد، فكانت حبال الود ووشائج القربى قوية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وكان الأندلسيون ينظرون إلى الشرق وما يأتي منه نظرة إعجاب وتقدير، فكانوا في غالب أمرهم مقلدين للمشارقة والشعر العباسي في موضوعاته وأساليبه .

ولكن هذا التقليد لا يمنعهم من الإبداع والابتكار والتميز بميزات تخصهم وكما لكل بداية نهاية وفي نهاية موضوع عرضنا هذا نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بالقدر اليسير في إبراز فكرة بسيطة عن خصائص الشعر الأندلسي،راجين من المولى عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابراهيم عباس، ديوان ابن خلدون، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.
2. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، المكتب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
3. أمين فوزي، دراسات في الشعر الأندلسي.
4. أنطوان محسن القوال، الموشحات الأندلسية، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت2003.
5. جميل سلطان، كتاب الشعر، منشورات المكتبة العباسية، دون طبعة، 1970.
6. حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، المجلد الثالث.
7. سليمان عبد الرزاق، سالم ترسل الشعراء في الأندلس، دار المعرفة، الإسكندرية، 2008.
8. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار الفكر، لبنان، 2000.
9. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار العربي، الطبعة الأولى، 1996.
10. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، دار الملايين، طبعة رابعة، 1979.
11. يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، الطبعة، 2004.

الانترنيت :

www.google.com الأدب العربي في المغرب والأندلس.

الفهرس

الفهرس

الفصل الأول : الشعر في الأندلس

الفصل الثاني : خصائص القصيد الأندلسي

الفصل الثالث : ابن زيدون أنموذجا